بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية اللغات

قسم اللغة العربية

بحث تخرج لاستيفاء درجة البكلاريوس بعنوان

رثاء الآباء لأبنائهم في الشعر العربي

(في العصرين الأموي والعباسي)

إعداد الطالبة: يمن عبدالله صباح الخير بلال
إشراف الأستاذ: أحمد المهدي أحمد

يونيو 2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيــــة

قـــال تعــالي:

(قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ *مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ* رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)

سورة الكهف الآية (108)

الإهداء،،

إلى من سهرت على راحتي وحملت همومي

نفسي حب العلم والعلم

وأزال العقبات وذلك الضباب في طريق حياتي

إلى يا مصدر فخري ـ كفاني فخراً أن يكون

أبي الحبيب حفظه الله

إلى من تعلمت أن الحاضر هو ثبات لذاتي.. وأن الغد هو ثمرة أمنياتي

أخوتي

وإلى كل من له حيز من نفسي

أحبائي

،،، أهدي إليكم جهدي المتواضع،،،

الباحثة

ملخص البحث

تناول البحث الموسوم ب"رثاء الآباء للأبناء في الشعر العربي في العصرين الأموي والعباسي، قُسم البحث إلى ثلاثة فصول الفصل الأول، تناول الفصل الأول تعريف الرثاء في اللغة والاصطلاح وآراء النقاد فيه، واختص الفصل الثاني، بـ"نماذج لشعر رثاء الآباء لأبنائهم في العصرين المشار إليهما سابقًا، أما الفصل الثالث فتناول النواحي الفنية لشعر رثاء الآباء لأبنائهم من حيث اللغة والأسلوب، و الوحدة الموضوعية والعضوية، و الصور البلاغية لقصائد رثاء الآباء لأبنائهم، هذا، وفي آخر البحث نتائج مذكورة، وهي ما خرج بها هذا البحث.

الشكر والتقدير

يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل بعد الله تعالي لمشرفي الفاضل الأستاذ أحمد المهدي الذي كان له الفضل الكبير في إخراج هذا البحث المتواضع

....

والشكر موصول لجميع الأساتذة بالكلية لما قدموه من جهد متواضع وجميع الزملاء والزميلات...

كما أخص بالشكر أسرتي الكريمة التي رعتني وأنا رهينة قلمي وأوراقي والتي أمدتني بالعزم

والشكر موصول أيضاً لجميع المكتبات التي وفرت لنا المزيد من المراجع

الفهرس

الموضوعـــــــــــــــات	رقم الصفحة
الآية	**أ**
الإهداء	**ب**
الشكر والتقدير	**ج**
ملخص البحث	**د**
الفهرس	**ه**
المقدمة	**و**
أسباب اختيار الموضوع	**و**
أهداف البحث	**و**
منهج البحث	**و**
الدراسات السابقة	**ز**
الصعوبات التي واجهت الباحثة	**ز**
الفصل الأول **تعريف الرثاء في اللغة والاصطلاح وآراء النقاد فيه**	
المبحث الأول: تعريف الرثاء في اللغة والاصطلاح	1 – 4
المبحث الثاني: أنواع الرثاء	5– 6
المبحث الثالث: آراء النقاد في الرثاء	7– 11

الفصل الثاني **نماذج لشعر رثاء الآباء لأبنائهم**	
المبحث الأول: العصر الأموي	12- 15
المبحث الثاني: العصر العباسي	16 - 23
الفصل الثالث **النواحي الفنية لشعر رثاء الآباء لأبنائهم**	
المبحث الأول: اللغة والأسلوب	24 - 32
المبحث الثاني : الوحدة الموضوعية والعضوية	33 - 38
المبحث الثالث : الصور البلاغية لقصائد رثاء الآباء لأبنائهم	39 - 44
الخاتمة	45
النتائج والتوصيات	46
قائمة المراجع والمصادر	47 - 50

المقدمة:

الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمد عبده ورسوله صلي الله عليه وعلى إله وصحبه تسليماً كثيراً

أما بعد:

أن موضوع هذا البحث: ((رثاء الآباء لأبنائهم في الشعر العربي في العصرين الأموي والعباسي)) موضوع يستحق الدّراسة، إذ أنه يعالج موضوع العاطفة الجياشة، وصدق المشاعر.

أسباب اختيار الموضوع:

١. صدق العاطفة في الرثاء.
٢. الدراسة لهذا الموضوع بصورة مفصلة أو مستقلة.

أهداف البحث:

١. تبيين الأثر العاطفي الذي خلفه رثاء الآباء لأبنائهم .
٢. التعريف بعيون الشعر العربي التي توشحت بثوب الرثاء.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة على المنهج التكاملي لحاجة البحث لذلك.

الصعوبات:

١. صعوبة استخراج المادة العلمية من كتاب بعينه إلا بعد الرجوع إلى كتب متعددة.
٢. عدم وجود دراسات سابقة لهذا الموضع ما عدا دراسة واحدة.

.٣

الدراسات السابقة:

توصلت الباحثة إلي دراسة واحدة فقط تتعلق بهذا الموضوع بعنوان: (رثاء الأبناء في العصر العباسي) من جامعة أم درمان الإسلامية عام 2008م، غير أن هذه الدراسة أشمل من تلك إذ أنها تناقش موضوع الرثاء متضمناً عصرين معاً الأموي والعباسي.

هيكل البحث:

الفصل الأول

تعريف الرثاء في اللغة والاصطلاح وآراء النقاد فيه

المبحث الأول: تعريف الرثاء في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: أنواع الرثاء

المبحث الثالث: آراء النقاد في الرثاء

الفصل الثاني

نماذج لشعر رثاء الآباء لأبنائهم

المبحث الأول: العصر الأموي

المبحث الثاني: العصر العباسي

الفصل الثالث

النواحي الفنية لشعر رثاء الآباء لأبنائهم

المبحث الأول: اللغة والأسلوب

المبحث الثاني : الوحدة الموضوعية والعضوية

المبحث الثالث: الصور البلاغية لقصائد رثاء الآباء لأبنائهم

الفصل الأول

تعريف الرثاء في اللغة والاصطلاح وآراء النقاد فيه

المبحث الأول: تعريف الرثاء في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: أنواع الرثاء

المبحث الثالث: آراء النقاد في الرثاء

J.

الفصل الأول

تعريف الرثاء في اللغة والاصطلاح وآراء النقاد فيه

المبحث الأول: تعريف الرثاء لغةً واصطلاحاً:

مدخل:

الرثاء أحد فنون الشعر العربي البارزة، بل أنه ليتصدرها من حيث صدق التجربة وحرارة التعبير ودقة التصوير.

يحتفظ أدبنا العربي بتراث ضخم من المراثي منذ الجاهلية إلى يومنا هذا.

تعريف الرثاء لغة:

يرتبط المدلول اللغوي (الرثاء) بالميت والبكاء وهما في الأصل مصدر للفعل (رثى)

يقول ابن منظور: "رثى فلان فلاناً يرثيه رثياً ومرثية" إذا بكاه بعد موته. قال فإن مدحه بعد موته قيل: رثاه يرثيه ترثيه. ورثيت الميت رثياً ورثاء ومرثاة ومرثية ورثيته: مدحته بعد الموت وبكيته.

ورثوت الميت إذا بكيته وعدّدت محاسنه، كذلك إذا نظمت فيه شعراً.

ورثت المرأة بعلها ترثيه ورثيته ترثاه رثاية، وترثّت كرّثت"[1]

[1] لسان العرب- ابن منظور- تحقيق عامر أحمد حيدر- دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان – الطبعة الثانية 2009م – ج 14، فصل رثى – ص 380

رثا مادة ر ث و

رثاء الشاعر أو الأديب أو الرجل الميت، يرثوه رثواً: بكاه ومدحه وعدّد صفاته الحميدة الحسنة، ومآثره المعروفة. والأمر من رثا: أرث يا رجلُ الميت، وأرثي يا امرأة الميت.

رثا الرجل لأبنه أو لصديقه أو لحاله: رحمه، ورّق، وعطف عليه.[1]

واخذ ملول الرثاء يرتبط بالقصيدة الشعرية، يقول ابن فارس: إن " الراء والثاء والحرف المعتل أصل على رقة واشفاق.

يقال رثَيْتُ لفُلان: رقَقتُ. ومن الباب قولُهم رَثَى الميّت بشعرٍ. ومن العرب من يقول: رَثَأْت. وليس الأصل[2]

رَثيْتُ الميت من باب رمى و مَرْثِيَةً أيضا و رَثَوْتُهُ من باب غذاء إذا بكيته وعددت محاسنه وكذا إذا نظمت فيه شعراً. ورثَى له رّق. وقالوا رثأت الميت بالهمزة على خلاف الأصل[3]

رثى – رثى الميت يرثيه رثياً ورثاء ورثاية ومرثاة ومرثية: بكاه وعدّد محاسنه. ورثأته بالهمزة لغة في رثيته

ورثاه أيضاً نظم فيه شعراً. ورث له رحمه ورّق له، ورثى عنه حديثاً رثاية: ذكره عنه. ورثى الرجل يرثى رثى كان به رثيّه. رثّى الميت ترثيه وترثّاه ترثّياً بمعنى: رثاه.

الّرثاء والرّثّاية: النواحة – والمرثاه ما يّرثى به الميت من شعر ونحوه كالمرثية والعامة تقول مرثاية ج مراثي.[4]

---

[1] معجم نورالدين الوسيط. دكتور عصام نورالدين. دار الكتب العالمية. بيروت لبنان. الطبقة الثانية2009. ص653

[2] معجم مقاييس اللغة- لابي الحسين أحمد بن أبي فارس بن زكريا- بدون طبعة وتاريخ. كتاب الراء باب (الراء والتاء) ص255

[3] مختار الصحاح. للشيخ الأمام محمد ابي بكر بن عبدالقادر الرازي– تحقيق – الأستاذ يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية. صيدا– بيروت – طبعة جديدة محققة ومشكولة – 1423هـ - 2003م ص118

[4] معجم محيط المحيط . المعلم بطرس البستاني- تحقيق محمد عثمان- دار الكتب العلمية- بيروت– لبنان2009- الطبعة الأولي – ج4 ص55

-رثي الميت رثياً، ورثاء ومرثاة ومرثية: بكاه بعد موته وعدّد محاسنه رثى له: رقّ لحاله.

-رثى: رثياً، ورثى: أصابه ضعف وفتور.

-الرّثية: الضعف والفتور، والرّثية: وجع المفاصل أو الركب أو الأطراف، وهو ما يعرف ب (الروماتيزم)[1]

-رثى (رثا): رثى فُلانُ فلاناً يرثيه رثياً ومرثية، أي يبكيه ويمدحه، والاسم: المرثية – ولا يرثى فلان لفلان، أي لا يتوجّع إذا وقع في مكروه، وأنه ليرثى لفلان مرثية ورثياً.

والمترثِي: المتوجّع المفجوع.[2]

رثاء: مصدر رثى: "غرض من أغراض الشعر الغنائي يقوم على بكاء الميت وذكر صفاته الحميدة"[3]

تعريف الرثاء اصطلاحاً:ــ

لم أجد إلا بعض التعريفات لمصطلح الرثاء، ولم تكن التعريفات بنص واضح، وإنما إشارات إلى المدلول اللغوي الذي تطور بمرور الزمن وآل إلى المدلول الاصطلاحي

وقد عُرف الرثاء: بأنه " تعداد مناقب الميت وإظهار التفجّع والتّلهّف عليه واستعظام المصيبة فيه."[4]

الرثاء هو " مدح الميت بعد الموت والبكاء عليه."

الرثاء هو موضوع أدبي يقوم في بنيته الأساس الحزن على الميت"[5]

---

[1] قاموس الكشاف – صالح شلهوب – دار أسامة للنشر والتوزيع– الأردن – عمان – جميع الطبع محفوظة- الطبعة الأولي2004م –1425- ص300

[2] كتاب العين – تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي170هـ ترتيب وتحقيق الدكتور عبدالحميد هنداوي– دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان الطبعة الأولي2003م 1424هـ ج2 – ص 97

[3] المعجم العربي الميسر – أ- د. أحمد زكي بدوى ، صديقة يوسف– راجعة أ-د. محمد السعدي فرهود وآخرون– دار الكتاب المصري– القاهرة – دار الكتاب اللبناني بيروت ط2 1420هـ ، 1999م. ص333

[4] جواهر الأدب – أحمد الهاشمي – دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان – الطبعة الأولي – ص255

[5] احلي ما قيل في الرثاء- إيمان البقاعي– دار الكتاب العربي– بيروت – لبنان – 1429 هـ 2008 بدون طبعة – ص 5

ومنهم من عرّفه بأنه: ((البكاء على الميت وتعداد محاسنه الحميدة بالشعر والنثر))[1] والرثاء من أصدق أغراض الشعر، إذ أن الممدوح قد أنتقل إلي الدار الآخرة، وتقطعت المطامع المادية بينه وبين راثيه أو مادحه؛ ولهذا فإن الراثي لا يقول إلا صدقاً، ولا يعدّد هذه المناقب إلا تعداد مفجّع بمن فقد.

[1] المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام – المقبول علي بشير النعمة – بدون طبعة وبدون تاريخ – ص 160

المبحث الثاني

أنواع الرثاء

للرثاء ثلاثة أنواع وهي: وهي الندب، العزاء ، التأبين

أولاً: الندب: الندبة:"أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، والجمع ندبٌ وأنداب وندوب كلاهما جمع الجمع، وقيل: الندب واحد والجمع أنداب وندوب.

ومنه قول عمر رضي الله عنه: (إياكم ورضاع السوء، فأنه لا بد من أن ينتدب) أي يظهر يوماً ما.

وندب الميت أي بكى عليه، وعدّد محاسنه، يندبه ندباً والاسم النُدبة.

والندب: أن تدعو الميت بحسن الثناء في قولها: وافلاناه! ، واهناه ! واسم ذلك الفعل: الندية وهو من أبواب النحو وهو كل شي في ندائه واوه !

وفي الحديث: (كل نادبة كاذبة، إلا نادبة سعد، وأن تذكر الناتجة الميت بأحسن أوصافه وأفعاله)[1]

-ندب مادة ن د ب

ندب الرجل صديقه إلى مساعدته أو إلى أي أمر، يندبه ندباً: دعاة. ندب القائد الجيش إلى الحرب: وجهة.

والأمر من ندب: إندب.[2]

(وندبت المرأة الميت ندباً من باب قتل وهي نادبة والجمع نوادب لأنه كالدعاء فأنها تقبل بتعديد محاسنه كأنه يسمعها)[3]

أنتدب للأمر: استجاب وسارع. المندوب: الرسول، والمندوب من ينوب في العمل عن مجلس أو هيئة

والمندوب شرعاً: المستحب.

النّدبُ: الطريق النجيب. ج ندباء.[4]

---

[1] لسان العرب – ج1 – ص 886 - 887

[2] معجم نورالدين الوسيط – ص 1051

[3] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير– للشيخ الامام أحمد بن محمد بن علي الفيومي- المؤسسة الحديثة للكتاب– طرابلس- لبنان – ص 650

[4] قاموس الكشاف – صالح شلهوب – ص 689.

ثانياً: التأبين:

أبن الرجل بابنه ويأبنه أبناً: أتهمّه وعابه.

أبن فلاناً: وصفه بخبر أو بشرّ، وفي الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلّم:

(أنه نهى عن الشعراء إذا أبنت فيه النساء).

أبّن الرجل تأبيناً وأبله: مدحه بعد موته وبكاه، قال متمم بن نويرة:

لعمري وما دهري بتأبين هالــك

ولا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا

أبنه: عابه في وجهة وغيره أبّن الأثر: ترقية

قال أوس بني حجر:

يقولُ لهُ الرّاؤون هذاكَ راكبٌ,

يؤبِّنُ شخصاً فوق علياءَ واقفُ[1]

-أبنه بشيء ويأُبُنهُ أبناً: اتهمه وعابه في وجهه.

وأبّن الدم في الجرح اسوّد، أبُن كأبن وفصد عرقاً ليؤخذ دمه فيشوى ويؤكل فأن أهل البادية يفعلون ذلك في زمان القحط.

وأبّنه أثنى عليه بعد موته واقتفى أثره وترقّبه.

تأبنه اقتفى أثره وترقّيه، الآبن اليابس من الطعام

الإبانة كل الأصحاب. ويقال جاء في إبانته أي في كل أصحابه.

الإبّان الحين وأول الشيء، يقال كل الفواكة في إبّانتها أي حينها[2]

وخلاصة القول: التأبين مدحك الرجل حياً أو ميتاً. قال ثعلب "هو ذكرك الرجل بعد موته بخير، والتأبين هو الثناء على الرجل في الموت والحياة"[3]

---

[1] معجم الإحسان فيما ينطق به اللسان- مجمع اللغة العربية– الخرطوم شركة مطابع السودان للعملة المحدودة2010م – الطبعة الأولي1421 هـ 2010م ج1 ص15

[2] محيط المحيط – ج 1 – ص201

[3] لسان العرب – ابن منظور – ج13 – ص 4

المبحث الثالث

آراء النقاد في الرثاء

لما كان التأبين ثناء على الميت وتقديراً لفضائله، كان من عناصر الرثاء تعديد محاسن الميت، رأى النقاد أنه لا فرق بين الرثاء والمدح، ولا فصل بين المدحة والمرثية، إلا أن بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت، مثل: كان أو عدمنا به، وكيت وكيت، أو ما يشاكل كل هذا ليعلم أنه ميت.[1]

ولم يتحدث قدامة في الرثاء عن عنصر أساسي في هذا الفن من بين فنون الشعر وهو بكاء الميت وإظهار اللوعة، والأسى لفقدانه، وذلك هو اللون الذي صبغ به الرثاء وأصبح متميزاً عن المدح.[2]

وقد تنبه ابن رشيق إلى هذا العنصر الأساسي، ولكن خصه بأن يكون الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً، إذ يقول " وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجّع، بين الحسرة، مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كما قال النابغة في حصن بن حذيفة بن بدر:

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم

وكيف بحصن والجبال جنوح؟

ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل

نجوم السماء والأديم صحيح

فعّما قليل، ثم جاء نعيّ

فظل نّديّ الحى وهو ينوح

النديّ: مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه، مجلس القوم نهاراً

---

[1] العمدة في محاسن أهل الشعر وآدابه ونقده- أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني- ج2 – شرحه صلاح الدين الهواري وأ. هدى عودة– دار مكتبة الهلال – جميع الحقوق محفوظة الطبعة الأولي.1996م – 1416 ص 231

[2] أسس النقد الأدبي عند العرب– أحمد أحمد بدوي – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– بدون طبعة – ص 224

فالشعر بين التفجّع، ظاهر الاستعظام، ومن دلالته على التفجّع أنه روى حديث الناس عن حصن، وأن الأسى يملأ قلوبهم لا يستطيعون النطق بها، ولا أن تتصل بحصن وتقع في جواره وتصويره لوقع نعيّه في نفوس سامعيه، وكيف ضج الندي بالبكاء والعويل، أما استعظام موته فقد أبان عنه عندما تعجّب أن يموت حصن ثم تظلّ الجبال راسية، والموتى مستقرين في قبورهم، كما لم تلفظهم القبور، وتبقي النجوم مستقرة في أماكنها ووجه السماء صحيحاً ولم تقم القيامة[1]

كما يظهر عند شعراء الرثاء الإحساس بالمشاركة الوجدانية بين المرثي ومن كان يتصل به فهم يعقدون صله بينه وبين من كان يتصل به، ومن كان يعيش حوله، ومنه قول كعب بن سعد القنوي في مرثية أخيه:

ليبكيك شيخ لم يجد من يعينه

وطاوي الحشا نائي المزار غريب[2]

ويروي قدامة أنه لا فصل بين المديح والتأبين إلا في اللفظ دون المعنى فالرثاء القوي عنده هو الذي يثني على الميت بالفضائل الأربع، مجملاً حيناً، ومفصلاً حيناً آخر، ومنها ما يشيد ببعض هذه الفضائل، وقد استخلص قدامة هذا الحكم من المراثي القوية التي أثرت عن الأقدمين كهذه القصيدة التي أوردنا منها البيت السابق وفيها يقول:

لَعَمري لَئِن كانَت أَصابَت مَنِيَّةٌ أَخي وَالمَنايا لِلرِجالِ شَعوبُ

لَقَد كانَ أَمّا حِلمُهُ فَمُرَوِّحٌ عَلَيَّا وَأَمّا جَهلُهُ فَعَزيبُ

أَخي ما أَخي لا فاحِشٌ عِندَ بيته وَلا وَرِعٌ عِندَ اللِقاءِ هَيوبُ

---

[1] العمدة – ص 231 – 232.

[2] نقد الشعر قدامة بن جعفر – تحقيق عبدالمنعم خفاجي – مكتبة الكليات الأزهرية– الطبعة الأولي – القاهرة – 1979م ص 33

دل الشاعر في البيت الأول على أن الشعر مرثية لهالك، ووصفه في البيت الثاني بالحلم والعقل، وفي البيت الثالث بالعفة والشهامة، ثم زاد على ذلك تصويره بعض الفضائل وأوقات ظهور هذه الفضائل فيه فهو:

حليمٌ إذا ماسورةُ الجهلِ أطلقتْ

حُبلَ الشيبِ للنفسِ اللجوجِ غلوبُ

يصف بهذا البيت شدة حلم أخيه، إذ هو لا يفارقه الحلم، حتى عندما تدفع شدة الغضب إلى أن يخرج جلله الشيب عن وقاره، وتلج نفسه في أن يظهر الغضب فيقهرها ويرغمها على أن تتبع جادة الحلم.[1]

ونرى ابن رشيق يقتصر من قصائد الرثاء على ما أبرز الصفة الأساسية في المراثي كالقصيدة التي رثى بها معن بن زائدة وفيها أشاد الشاعر باقوى ما كان يتصف به المرثي وهو الجود الذي شهر به فقال:

فـيَا قَبْرَ مَعْنٍ كنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ ... مِنَ الأَرْضِ خُطَّتْ للسَّمَاحَةِ مَوْضِعاً

وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ؟ ... وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ والْبَحْرُ مُتْرَعاً

بلى قد وسعَت الجود والجود ميتٌ ... ولو كان حياً ضِقت حتى تصدعا

فتى عيش في معروفه بعد موته .... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا[2]

ما عيب من قصائد الرثاء:

عدّ العرب من عيوب الرثاء التقصير في رسم صفات المرثي، حتى لا تصور من كان له من مكانة ومجد، وعلي هذا الأساس عيب الكميت في رثائه الرسول الكريم بقوله:

---

(1) نقد الشعر قدامة بن جعفر – تحقيق عبدالمنعم خفاجي – مكتبة الكليات الأزهرية– الطبعة الأولي – القاهرة – 1979م ص33

(2) العمدة ص232

وبُورِكَ قــبرٌ أنت فيــه وبُورِكت

بِــهِ ولَــهُ أهــلٌ بذلكَ يَثــْربُ

لقــد غيَّبوا بِــرّاً وحزماً ونائلاً

عشيَّــةَ واراه الضريَــحُ المُنَصّــبُ

فقد رأوا الثاني معيباً، لا يصور مجد الرسول صلي الله عليه وسلم ولا مكانته بين المسلمين وقومه.

وعدّ من عيوب الرثاء للعظماء أيضاً أن تكون عبارة الشاعر غير مبينه عمّا في نفسه من ألم، وعمّا يشعر به من عظم الملمة، ويضربون المثل ذلك بقول أبي العتاهية:

مات الخليفة أيها الثقلان

قيل أن الناس رفعوا رؤوسهم، وفتحوا عيونهم، وقالوا: نعاهُ إلى الجن والإنس ثم أدركه اللين وقال كأنني أفطرتُ في نهار رمضان، يريد أني بمجاهرتي بهذا القول كأنما جاهرت بالإفطار في رمضان نهاراً، وكل واحد ينكر ذلك علىّ، ويستعظمه من فعلي، وهذا معنى جيد غريب في لفظ غير معربِ عمّا في النفس.

وعيب من شعر الرثاء افتتاح قصيدة الرثاء بالغزل، بقول ابن رشيق: أن التعارف عند أهل اللغة أن ليس في الجاهلية مرثية أولها تشبيب إلا قصيدة دريد بن الصمة:

أرث جديد الحبل من أم معبد

بعاقبةٍ وأخلفت كل موعد

يعلق بن رشيق على ذلك بقوله: إنما تغزّل دريد بعد قتل أخيه بسنة وحين أخذ ثأره وأدرك طلبته.

كذلك عاب النقاد من شعر الرثاء ما ختم بالغزل ومن أجل ذلك عاب صاحب العمدة على الشاعر الذي رثى عثمان بن عفان ثم ختم ، قصيدته بالغزل ونسب ذلك إلي جفوة الأعراب حيث يقول الشاعر:

ولم تنسني قتلي قريش ظعائناً

تحمّلْتَ حتى كادت الشمسُ تغربُ

ولقد كان ختم القصيدة بالنسيب أردأ من بدئها به، لأن الشاعر يريد أن يكون الأثر الأخير لقصيدته حزناً عميقاً من نفس قارئه وسامعه مما لا يتفق بحال من الأحوال مع هذا الغزل الذي يذهب بأثر الرثاء من نفس السامعين[1]

أشهر شعراء الرثاء:

يذكر ابن رشيق أن أبا تمام من المعدودين في إجادة الرثاء، ومثله عبدالسلام بن رغبات ديك الجن وهو من أشتهر في هذا من حبيب.

وكالعادة حاولوا أن يسجلوا أرثى بيت قاله الشعراء في الرثاء فذكر غير واحد أنه قول أبي تمام:

أرادوا لِيُخْفُوا قبره عَنْ عدوّهِ

فطِيبُ تُرابِ القبرِ دلّ عَلَى القبرِ[2]

وقيل : بل قول عبده بن الطيب:

وما كان قيس هلكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدما[3]

---

[1] العمدة – ص 238 - 239

[2] العمدة ص236

[3] أسس النقد الأدبي – الدكتور أحمد أحمد بدوي – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– بدون طبعة – ص245

الفصل الثاني

نماذج لشعر رثاء الآباء لأبنائهم

المبحث الأول: العصر الأموي

المبحث الثاني: العصر العباسي

الفصل الثاني

نماذج لشعر رثاء الآباء لأبنائهم

المبحث الأول: العصر الأموي

قال الفرذدق يرثي ابنين له[1]:

بفي الشّامِتِينَ الصّخرُ إنْ كانَ مَسّني ** رَزِيّةُ شِبْلَيْ مُخدِرٍ في الضّراغِمِ

هِزَبْرٍ، إذا أشْبَالُهُ سِرْنَ حَوْلَهُ ** تَشظَّتْ سباعُ الأرْضِ من ذي النّحائمِ

أرَى كُلَّ حَيٍّ لا يَزَالُ طَلِيعَةً ** عَلَيْهِ المَنَايَا، من فُرُوجِ المَخارِمِ

وَمَا أحَدٌ كَانَ المَنايَا ورَاءَهُ ** وَلَوْ عاش أيّاماً طِوالاً، بِسَالِمِ

فَلَسْتُ ولَوْ شَقّتْ حَيازِيمَ نَفْسِها ** من الوَجْدِ بَعدَ ابْنَيْ نَوَارَ، بلائِمِ

على حَزَنٍ بَعْدَ اللَّذَينِ تَتَابَعَا ** لهَا، والمَنَايَا قَاطِعَاتُ التّمَائِمِ

يُذَكّرُني ابنيّ السِّماكانِ مَوْهِناً ** إذا ارْتَفَعا بَينَ النّجُومِ التّوَائِمِ

فَقَدْ رُزِىء الأقْوَامُ قَبْلِيَ بابْنِهِم ** وَإخْوَانِهِم، فاقني حياءَ الكرائِمِ

وَمِنْ قَبْلُ ماتَ الأقرَعانِ وَحاجِبٌ ** وَعَمْروٌ وَماتَ المَرْءُ قيسُ بن ع اصِمِ

وَمَاتَ أبي وَالمُنْذِرَانِ كِلاهُمَا ** وَعَمْرو بنُ كُلْثُومٍ شهابُ الأرَاقِمِ

وَقَد ماتَ خَيراهمْ، فَلَمْ يُهلِكاهمْ ** شَيِّة بَانَا، رَهْط كَعْبٍ وَحاتِمِ

وَقَدْ ماتَ بِسْطَامُ بنُ قَيسٍ وَعامِرٌ ** وَمَاتَ أبُو غَسّانَ شَيْخُ اللّهازِمِ

فما ابناكِ إلاّ ابنٌ من النّاسِ فاصْبرِي ** فَلَنْ يَرْجِعَ المَوْتَى حَنِينُ المآتِمِ [2]

---

[1] الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي أفخر ثلاثة الشعراء الأمويين وأجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء.
جواهر الأدب احمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري المصري المتوفى سنة1943م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ، 1999م، الجزء 1-2، ص295.

[2] ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت،1386هـ، 1966م، ص206.

قال الفرزدق يرثي بنيه:[1]

تمنّى المستزيدة لي المنايا ** وهن وراء مرتقب الجدور
فلا وأبي لما أخش ى ورائي ** من الأحداث والفزع الكبير
أجلّ على مرزئة وأدن ى ** إلى يوم القيام ة والنشور
من البقر الذين رزئت خلوا ** عليّ المضلعات من الأمور
أما ترض ى عُديّة دون مو تى ** بما في القلب من حزن الصدور
بأربعة رزئتهم وك انوا ** أحبّ الميتين إل ى ضميري
بنيّ أصابهم قدر المنايا ** فهل منهنّ من أحدٍ مجيري
دعاهم للمنية فاستجابوا ** مدى الآجال من عدد الشهور
ولو كانوا بني جبل فماتوا ** لاصبح وهو مختشع الصّخور
ولو ترضينَ مما قد لقينا ** لأنفسنا بقاصمة الظهور
رأيت القارعات كسرن منّا ** عظاماً كسرهُنّ إل ى جبور
فإن أباك كان كذاك يدعو ** علينا في القديم من الدهور
رزئنا غالباً وأباه كانا ** سماكي كل مهتلك فقير
ولو كان البكاء يرد شيئاً ** على الباكي بكيت على صقوري
إذا حنّت نوار تهيجُ منيّ ** حرارة مثل ملتهب السعير
حنين الوالهين، إذا ذكرنا ** فؤادينا اللذين مع القبور
إذا بكيا حوارهما استحثت ** جناجن جلّة الأجواف خور
بكين لشجوهن فهجن بركاً ** علي جزع لفاقدة ذكور
كأن تشُ رّبَ العبرات منها ** هراقةُ شنتيّن على بعير
كليل مهلهلٍ ليل ى، إذا ما ** تمنّى الطول ذو الليل القصير
يمانيةٌ، كأنّ ش آميات ** رجحن بجانبيه عن الغؤور
لكأن الليل يحسبُهُ علينا ** ضرارٌ أو يكرّ إل ى نذور
كأن نجومه شؤل تثني ** لأدهم في مباركها عقير
وكيف بليلةٍ لا نومَ فيها ** ولا ضوءٍ لصاحبها منير

[1] ديوان الفرزدق، ج1، دار صادر، بيروت، 1386هـ، 1966م، ص219 – 220.

وقال جرير يرثي ابنه سوداه هلك بالشام [1]

قالوا: نَصيبَكَ من أجرٍ، فقُلتُ لهم:	منْ للعرينِ إذا فارقتُ أشبالي
لكنْ سوادةُ يجلو مقلتيْ لحمٍ	بازٍ يصرصرُ فوق المرقبِ العالي
قدْ كنتُ أعرفهُ منيِّ إذا غلقتْ	رُهْنُ الجِيادِ وَمَدَّ الغايَةَ الغَالي
إلاَّ تكنْ لكَ بالدّيرينِ باكيةٌ	فربَّ باكيةٍ بالرملِ معوالِ
كَأُمّ بوٍّ عَجُولٍ، عندَ مَعهَدِهِ،	حنّتْ إلى جلدٍ منهْ وأوصالِ
تَرْتَعُ ما نَسِيَت حتى إذا ذَكَرَتْ	رَدّتْ هَماهمَ حرَّى الجوْفِ مثكالِ
زدنا على وجدها وجداً وإن رجعتَ	في القلبِ منها خطوبٌ ذاتُ بلبال
فارَقْتَني حينَ كَفّ الدّهرّ من بَصرِي	و حينَ صرتُ كعظمْ الرمةِ البالي
إنّ الثّوِى بذي الزّيْتونِ، فاحتَسبي،	قَدْ أسرَعَ اليَوْمَ في عَقلي وَفي حالي[2]

[1] جرير هو بن جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بني الكلبي اليربوعي أبو حذرة من تميم، أحد فحول الشعراء الإسلاميين تراجم الشعراء للدكتور يحي مراد ص315ة – وأنظر جواهر الأدب لأحمد الهاشمي ص296

[2] ديوان جرير – دار صادر – بيروت – بدون طبعة – ص345

وقال أبو ذؤيب الهذلي، وكان له سبعة أولاد كلهم ماتوا إلا طفلاً فقال يرثيهم:[1]

أَمِنَ المَنونِ وَريبةِ تَتَوَجَّعُ ... وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ

قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِباً ... مُنذُ اِبتَذَلتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَعُ

أَم ما لِجَنبِكَ لا يُلائِمُ مَضجَعاً ... إِلّا أَقَضَّ عَلَيكَ ذاكَ المَضجَعُ

فَأَجَبتُها أَن ما لِجِسمِيَ أَنَّهُ ... أَودى بَنِيَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعوا

أَودى بَنِيَّ وَأَعقَبوني حسرةً ... بَعدَ الرُقادِ وَعَبرَةً ما تُقلِعُ

سَبَقوا هَوَيَّ وَأَعنَقوا لِهَواهُمُ ... فَتُخُرِّموا وَلِكُلِّ جَنبٍ مَصرَعُ

فَبَقيتُ بَعدَهُمُ بِعَيشٍ ناضِبٍ ... وَإِخالُ أَنّي لاحِقٌ مُستَتبَعُ

وَلَقَد حَرِصتُ بِأَن أُدافِعَ عَنهُمُ ... فَإِذا المَنِيَّةُ أَقبَلَت لا تُدفَعُ

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها ... أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

فَالعَينُ بَعدَهُمُ كَأَنَّ حِداقَها ... سُمِلَتْ بِشَوكٍ فَهِيَ عورٌ تَدمَعُ

حَتّى كَأَنّي لِلحَوادِثِ مَروَةٌ ... بِصَفا المُشَرَّقِ كُلَّ يَومٍ تُقرَعُ

وَتَجَلُّدي لِلشامِتينَ أُرِيهِمُ ... أَنّي لَرَيبِ الدَهرِ لا أَتَضَعضَعُ

وَالنَفسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها ... وَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ[2]

---

[1] أبو ذؤيب الهذلي هو خويلد بن خالد محرّث أبو ذؤيب من بني هذيل بن مدركة المضري. أدرك الجاهلية ثم أسلم.
معجم تراجم الشعراء- دكتور يحي مراد– الجزء الأول – دار الحديث – القاهرة – 1427هـ - 2006م ص 49 انظر تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري – الطبعة الثانية عشر 1987م – المكتبة البوليسية. وأنظر ديوان الهذليين.

[2] العقد الفريد – الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفي328هـ تحقيق محمد عبدالقادر شاهين – ج 3 – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ص 198

المبحث الثاني

العصر العباسي

قال أبو تمام يرثي ابنه محمداً[1]:

لا يَشمَتِ الأَعداءُ بِالمَوتِ إِنَّنا سَنُخلي لَهُم مِن عَرصَةِ المَوتِ مَوردِا
وَلا تَحسَبَنَّ المَوتَ عاراً فَإِنَّنا رَأَينا المَنايا لم يدعن مُحَمَّدا
وَلا يَحسِبِ الأَعداءُ أَنَّ مُصيبَتي أَكَلَّت لَهُم مِنّي لِساناً وَلا يَدا
تَتابَعَ في عامٍ بَنِيَّ وَإِخوَتي فَأَصبَحتُ إِن لَم يُخلِفِ اللَهُ مفردا[2]

ومن القصائد المبكية التي قيلت في رثاء الأبناء قصيدة أبراهيم المهدي حيث يرثي أبناً له بالبصرة يقول فيها:[3]

نأى آخر الأيام عنك حبيب	فللعين سحٌ دائمٌ وغروبُ
دعته نوى لا يرتجى أوبةٌ لها	فقلبكَ مسلوبٌ وأنتَ كئيبُ
يؤوب إلى أوطانه كل غائبٍ	وأحمدُ في الغيابِ ليس يؤوبُ
تبدل داراً غير داري وجيرةً	سواي وأحداثُ الزمان تنوبُ
أقام بها مستوطناً غير أنه	على طول أيام المقام غريبُ
وريحان قلبي كان حين أشمه	ومؤنس قصري كان حين أغيبُ

[1] أبو تمام هو حبيب بني أوس بن الحارث بني قيس الطائي ابو تمام– ديوان ابو تمام – أنظر جواهر الأدب – ص325

[2] ديوان أبو تمام اعداد محمد عبدالرحيم أخراج هوساك كومبيوتر برس– اشراف راتب قبيعة – دار الراتب الجامعية– بيروت – لبنان – الطبعة الأولي2008م ص110 - 111

[3] إبراهيم بن المهدي بن المنصور بن محمد بني علي بني عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب التعازي والمراثي- ص81

ونقتبس منها:

دعوت أطباء العراق فلم يصيب دواءك منهم في البلاد طبيبُ

ولم يملك الآسون دفعا لمهجةٍ عليها لإشراك المنون رقيبُ[1]

وأصيب أبو العتاهية بابن له، فلما دفنه وقف على قبره وقال:[2]

كفى حزناً بدفنك ثم أني نفضتُ تراب قبرك من يديّا

وكانت في حياتك لي عظاتُ فأنت اليوم أوعظُ منك حيّا[3]

يقول أبو نواس يرثى ابناً له :[4]

لعمرُك ما ابقي لنا الموتُ باقياً

نقّر به عيناً غداة نؤوب

كأني وترتّ الموت بابن افاده

على حين حانت كبرةٌ ومشيبُ[5]

وقال ابن الرّومي يرثى ابنه الأوسط محمد بقوله:[6]

بُكَاؤكُمَا يَشْفِيْ وَ إنْ كَانَ لاَ يُجْدِيْ فَجُوْدَا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيْرُكُمَا عِنْدِي

بُنَيَّ الذِي أَهْدَتْهُ كَفَّايَ لِلثَّــرَى فَيَا عِزَّةَ المُهْدَى ، وَيَا حَسْرَةَ المَهْدِي

أَلاَ قَاتَلَ اللَّهُ المَنَايا وَ رَمْيَهَا مِنَ القَوْمِ حَبَّاتِ القُلُوْبِ عَلَى عَمْدِ

تَوَخَّى حِمَامُ المَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ العِقْدِ

عَلَى حِيْنِ شِمْتُ الخَيْرِ مِنْ لَمَحَاتِهِ وَ آنَسْتَ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْــدِ

طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّيْ ، فَأَضْحَى مَزَارُه بَعِيْدَاً عَلَى قُرْبٍ ، قَرِيْبَاً عَلَى بُعْدِ

لَقَدْ أَنْجَزَتْ فِيْهِ المَنَايَا وَ عِيْدَهَا وَأَخْلَفَتِ الآمَالُ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ

---

[1] الكامل في اللغة والأدب– للمبرد – ج 2 – مكتبة المعارف– بيروت ص 318.

[2] أبو العتاهية هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي الأديب الصالح الأوحد، أبو إسحاق

[3] ديوان أبو العتاهية– أعداد محمد عبد الرحيم– دار الراتب الجامعية– لبنان – الطبعة الأولي2008م – ص 8

[4] أبو نواس هو الحسن بن مانئ ولد سنه141ه وقيل 145ه ديوان أبو نواس– اعدّه وحققه سالم شمس الدين– المكتبة العصرية– صيدا – بيروت – الطبعة الأولي– 2010م 1431هـ ص 92

[5] المصدر السابق ص92

[6] هو أبو الحسن علي بن العباس بني جريج الرّومي مولي بني العباس الشاعر المكثر المطبوع، صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، والمعاني المخترعة– من جواهر الأدب– ص 327

ونقتبس منها :

وأولادنا مثلُ الجَوارح أيُّها		فقدناه كان الفاجع البَيِّنَ الفقدِ
لكلٍّ مكانٌ لا يسُدُّ اختلالهُ		مكانُ أخيه في جَزُوعٍ ولا جلدِ
هلِ العينُ بعدَ السَّمع تكفي مكانهُ		أم السَّمعُ بعد العينِ يهدي كما تهدي؟
لَعمري لقد حالتْ بيَ الحالُ بعدهُ		فيا ليتَ شِعري كيف حالتْ به بعدِي؟

محمَّدُ ما شيءٌ تُوهِّم سلوةً		لقلبي إلاَّ زاد قلبي من الوجدِ
أرى أخويكَ الباقِيينِ فإنما		يكونان للأحزَانِ أورى من الزَّندِ
إذا لعِبا في ملعب لك لذَّعا		فؤادي بمثل النار عن غير ما قَصدِ

إلى أخر الأبيات التي تقطر أدمعاً التي يقول فيها

وأنتَ وإن أُفردْتَ في دار وحْشةٍ		فإني بدار الأنسِ في وحشة الفردِ
أودُّ إذا ما الموتُ أوفدَ مَعشَراً		إلى عَسكر الأمواتِ أنِّي من الوفْدِ
ومن كانَ يَستهدي حَبِيباً هَديَّةً		فطيفُ خيالٍ منك في النوم أستهدي
عليك سلامُ الله مني تحيَّةً		ومنْ كل غيثٍ صادقِ البرْقِ والرَّعدِ[1]

[1] ديوان ابن الرّومي– ج1 – شرح وتحقيق عبدالأمير على مهنا– منشورات درا مكتبة الهلال– الطبعة الأولي1411هـ-1991م – ص26

له قصيده أخرى يرثي فيها ابنه حيث يقول:

حماة الكرى هّمٌ سرى فتأدُبا

فبات يراعي النجم حتى تصوّبا

أعينيٌّ جُودا لي فقد جدتُ للثرى

بأكثر مما تمنعان وأطيبا

بُنُيٌّ الذي أهديته أمس للثرى

فلّله ما أقوى قناتي وأصلبا

فإن تمنعاني الدمَع أرجعْ إلى أسىً

إذا فَتّرتْ عنه الدموعُ تلهبا[1]

ويقول ابن الرّومي راثياً ابنه أيضاً:

يا غائباً عنى بُعيدَ الايابْ نغّصني فقُدكَ بردَ الشرابْ

لهفي على لُبْسك ثوبَ البلى من قبل إخلاقِكَ ثوب الشبابْ[2]

[1] ديوان ابن الرومي – شرح الشيخ محمد شريف سليم – ج1 دار إحياء التراث العربي- بيروت– لبنان – شركة علاءالدين للطباعة والتجليد – حرر بالقاهرة في6 رجب سنة1335 ه – 27 أبريل سنة1917م ص340

[2] ديوان ابن الرّومي – ج1 – شرح وتحقيق عبدالأمير على مهنا – دار ومكتبة الهلال – بيروت – الطبعة الأولي1411هـ1991م ص405

يقول بشار بن برد في رثاء ابنه محمد:[1]

أجارَتَنا لا تَجزَعي وَأنيبي ... أتاني مِنَ المَوتِ المُطِلِّ نَصيبي
بُنَيِّي عَلى قَلبي وَعَيني كَأَنَّهُ ... ثَوى رَهنَ أحجارٍ وَجارَ قَليبِ
كَأَنّي غَريبٌ بَعدَ مَوتِ مُحَمَّدٍ ... وَما المَوتُ فينا بَعدَهُ بِغَريبِ
صَبَرتُ عَلى خَيرِ الفُتُوِّ رُزئتُهُ ... وَلَو لا اِتِّقاءُ اللَهِ طالَ نَحيبي
لَعَمري لَقَد دافَعتُ مَوتَ مُحَمَّدٍ ... لَو أنَّ المَنايا تَرعَوي لِطَبيبِ
وَما جَزَعي مِن زائِلٍ عَمَّ فَجعُهُ ... وَمِن وِردِ آباري وَقَصدِ شَعيبي
فَأَصبَحتُ أُبدي لِلعُيونِ تَجَلُّداً ... وَيا لَكَ مِن قَلبٍ عَلَيهِ كَئيبِ
يُذَكِّرُني نَوحُ الحَمامِ فِراقَهُ ... وَإِرنانُ أبكارِ النِساءِ وَثيبِ
وَلي كُلَّ يَومٍ عَبرَةٌ لا أُفيضُها ... لِأَحظى بِصَبرٍ أو بِحَطِّ ذُنوبِ
إِلى اللَهِ أشكو حاجَةً قَد تَقادَمَت ... عَلى حَدَثٍ في القَلبِ غَيرِ مُريبِ
دَعَتهُ المَنايا فَاِستَجابَ لِصَوتِها ... فَلِلَّهِ مِن داعٍ دَعا وَمُجيبِ
أَظَلُّ لِأَحداثِ المَنونِ مُرَوَّعاً ... كَأَنَّ فُؤادي في جَناحِ طَلوبِ
عَجِبتُ لِإِسراعِ المَنِيَّةِ نَحوَهُ ... وَما كانَ لَو مُلِّيتُهُ بِعَجيبِ
رُزِئتُ بُنَيِّ حينَ أورَقَ عودُهُ ... وَأَلقى عَلى الهَمِّ كُلَّ قَريبِ
وَقَد كُنتُ أَرجو أَن يَكونَ مُحَمَّدٌ ... لَنا كافِياً مِن فارِسٍ وَخَطيبِ
وَكانَ كَرَيحانِ العَروسِ بَقاؤُهُ ... ذَوى بَعدَ إِشراقِ الغُصونِ وَطيبِ
أَغَرُّ طَويلُ الساعِدَينِ سَمَيذَعٌ ... كَسَيفِ المُحامي هُزَّ غَيرَ كَذوبِ
غَدا سَلَفٌ مِنّا وَهَجَّرَ رائِحٌ ... عَلى أَثَرِ الغادينَ قَودَ جَنيبِ
وَما نَحنُ إِلّا كَالخَليطِ الَّذي مَضى ... فَرائِسُ دَهرٍ مُخطِئٍ وَمُصيبِ
نُؤَمِّلُ عَيشاً في حَياةٍ ذَميمَةٍ ... أَضَرَّت بِأَبدانٍ لَنا وَقُلوبِ
وَما خَيرُ عَيشٍ لا يَزالُ مُفَجَّعاً ... بِمَوتِ نَعيمٍ أو فِراقِ حَبيبِ
إِذا شِئتُ راعَتني مُقيماً وَظاعِناً ... مَصارِعُ شُبّانٍ لَدَيَّ وَشيبِ[2]

---

[1] بشّاربن بُرد هو مولى لبني عُقيل ويقال لبني سدوس ويكنى ابا معاذ ويلقب المُرعّث، يُرمى بالذندقة. أشعر المولدين على الاطلاق.
الشعر والشعراء لابن قتيبة وتحقيق دكتور مُفيد قميحة– أ. محمد أمين الضنّاوي– دار الكتب العلمية- بيروت– لبنان – الطبعة الأولي1421 هـ 2000م ص455

[2] ديوان بشّار – اعداد محمد عبدالرحيم – إخراج هوساك كومبيوتر برس المشرف العام راتب قبيعة– دار الراتب الجامعية– طبع في لبنان – الطبعة الأولي ص2008 – ص 137 -139

وقال أبو تمام يرثى ابناً له:

كان الذي خفتّ أن يكونا . . . إنا إلى الله راجعونا
أمسى المرجّى أبو علي . . . موسدا في الثرى يمينا
حين استوى وانتهى شبابا . . . وحقق الرأي والظنونا
أصبتُ فيه وكان عندي . . . على المصيبات أن يعينا
كنت عزيزاً به كثيراً . . . وكنت صبّا به ضنينا
دافعت إلا المنون عنه . . . والمرء لا يدفع المنونا
آخر عهدى به صريعاً . . . للموت بالداء مستكينا

إذا شكا غصّة وكرباً . . . لاحظ أو راجع الأنينا
يديرُ في رجعه لساناً . . . يمنعه الموت أن يبينا
ثم قضى نحبه فأمسى . . . فى جدث للثرى دفينا
بعيدُ دار قريب جار . . . قد فارق الإلف والقرينا

بنيّ يا واحد البنينا . . . غادرتني مفرداً حزينا
هوّن رزئى بك الرزايا . . . علىّ في الناس أجمعينا
آليت أنساك ما تجلّى ..... صبح نهار لمصبحينا

وما دعا طائرٌ هديلاً.. .. .ورجعت والهٌ حنينا
تصرّف الدهر بي صروفاً ... وعاد لي شأنه شؤونا
وجزّ في اللحم بل براه..... واجتثّ من طلحتي فنونا
أصاب مني صميم قلبي..... وخفتُ أن يقطع الوتينا
فالمرءُ رهن بحالتيه..... فشدة مرة أولينا[1]

[1] شرح ديوان أبى تمام – شرحه شاهين عطية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان - طبع في المطبعة الأدبية – ص 380 - 381

وقال ابن الرومي يرثي ابنه هبة الله:[1]

ياهل يخلد منظرٌ حَسنُ	لممتَّع أو مَخْبرٌ حَسن؟
أم هل يطيبُ لمقلةٍ وَسنُ	فيقرُّ فيها ذلك الوسن
كم مِنَّةٍ للدهر كدَّرها	لم تصفَ منه ولا له المِننُ
أبُنَيّ إنك والعزاءَ معا	بالأمس لُفَّ عليكما كفنُ
فإذا تناولتُ العزاء أبى	نَيْلِيه أن قد ضمَّه الجُنن
أبُنيّ إن أحزنْ عليك فلي	في أن فقدتُك ساعةً حزن
وإن افتقدت الحُزن مفتقِدا	لُبِّي لفقدِك للحَرِي القَمن
بل لاإخال شجاك تَعْدَمُه	روحٌ ألمَّ بها ولا بَدن
تالله لاتنفك لي شجناً	يمضي الزمان وأنت لي شجن
ياحسرتاً فارقتني فَنناً	غصناً ولم يُثمر ليَ الفنن
ولقد تُسلّي القلبَ ذُكرتُه	أنِّي بأن ألقاك مرتَهنُ
أولادنا أنتم لنا فِتن	وتفارقون فأنتمُ مِحن
لهفي على سبق المنية بي	لو بيع لم يوجد له ثمن
ياعاذلي في مثل نائبتي	تُلْفَى دموعُ العين تُمْتَهن
فدعِ الملام فإنني رجل	عَدلٌ على العبرات مؤتمن
أنفقتُ دمعي في مَواضعه	لاالوَكسُ يلحقُني ولاالغَبن
أبكاني ابني إذ فُجعت به	لم تُبكِني الأطلال والدِّمن
وعكَفْتُ بالقبر المحيط به	فاعذِرْ فلا صنمٌ ولا وثن

[1] ديوان ابن الرومي– شرح وتحقيق عبدالأمير علي مهنا– المجلد السادس- منشورات دار ومكتبة الهلال– بيروت – الطبعة الأولي1411هـ 1991م ص258

ومن أشهر هذه القصائد مرثية أبي الحسن التهامي [1]لابنه التي ذاع صيتها وعلت شهرتها ليس بسبب طولها بل لحسن مطلعها وجودة نظمها وتمسك قائلها بفضلية العزاء مصوراً حال الإنسان ودنياه المتقلبة كتقلب أطواره فيها، وترجم فناء الناس جميعاً محذراً إياهم عن الغفلة عن الموت الذي فجعه الموت فيه طاوياً آماله العراض عاملاً على تأسية نفسه المكلومة الحزينة متخذاً من التأسي مسلكاً حيث يقول:

حكمُ المنيَّة في البريَّة جارِ	ما هذه الدنيا بدار قرارِ
بينا يُرى الإنسانُ فيها مخبراً	حتى يُرى خبراً من الأخبار
طُبعت على كدرٍ وأنت تريدُها	صفواً من الأقذاء والأكدار
ومكلّف الأيَّامِ ضدَّ طباعها	متطلّبٌ في الماءِ جذوة نار
وإذا رجوتَ المستحيل فإنما	تبني الرَّجاء على شفيرٍ هار
فالعيشُ نومٌ والمنيّة يقظةٌ	والمرءُ بينهما خيالٌ سار
والنفسُ إن رضيت بذلك أو	أبت منقادةٌ بأزمة المقدار
فاقضُوا مآربكم عجالاً إنما	أعماركم سفرٌ من الأسفار
وتراكضوا خيل الشباب وحاذروا	أن تستردَّ فإنهن عوار

يا كوكباً ما كان أقصرَ عمره	وكذاك عمر كواكبُ الأسحار
وهلالَ أيام مضيت لم يستدر	بدراً ولم يُمهل لوقت سرار
عجل الخسوفُ إليهِ قبل أوانهِ	فمحاهُ قبل مظَنّةِ الإبدار

أبكيهِ ثم أقول معتذراً له	وُقّقتَ حين تركتَ ألأم دار
جاورتُ أعدائي وجاورَ ربّهُ	شتّان بين جوارهِ وجواري

[1]ديوان أبي الحسن التهامي– علي بن محمد التهامي أبو الحسن– تحقيق محمد بن عبدالرحمن الربيع– مكتبة المعارف1402هـ1982 الطبعة الأولى – ص 47 - 48

الفصل الثالث

النواحي الفنية لشعر رثاء الآباء لأبنائهم

المبحث الأول: اللغة والأسلوب

المبحث الثاني : الوحدة الموضوعية والعضوية

المبحث الثالث: الصور البلاغية لقصائد رثاء الآباء لأبنائهم

الفصل الثالث

النواحي الفنية لشعر رثاء الآباء لأبنائهم

المبحث الأول: اللغة والأسلوب:

علمنا سابقاً أن التجربة الشعرية تقوم على العاطفة والصدق الفني فيمكننا أن نضيف إليها اللغة والأسلوب، فالأسلوب هو الأداة الناقلة للتجربة الشعرية، فأسلوب الشاعر يعني طريقة تناوله للتجربة المعنية شعرية كانت أم نثرية، وهو الوسيلة الوحيدة التي يعبر بها الشاعر عن إحساسه الداخلي سواء كان جزلاً أم حزيناً.

فالأسلوب هو: (التعبير الخارجي لحالة داخلية فمتى صدق كان النظم جيداً) [1] وقد يتعدد الأسلوب في الغرض الشعري الواحد وذلك لاختلاف المسلك الذي يسلكه الشعراء وكذلك الحالة التي تعتري الشاعر.

ومن خلال قصائد رثاء الأبناء نكشف عن أساليب متنوعة يطرقها الشاعر ليعبر عن رغبته في الكشف عما يدور في ذهنه ودواخله.

ومن أكثر الأساليب تناولاً عند شعراء رثاء الأبناء أسلوب الخطاب فالأب يخاطب ابنه من خلال معاناته وألم البعد والفراق مدللاً على أنه ما يزال قريباً منه وأن بُعدت بينهم المسافات وحال بينهم الردى.

ومن تناول أسلوب الخطاب في شعر رثاء الأبناء أبو العتاهية حيث رثى ابنه قائلاً:

كفى حزناً بدفنك ثم أني نفضت تراب قبرك من يديّا

وكنت وفي حياتك لي عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيّا[2]

فقد سلك أبو العتاهية مسلك التأسّي والعزاء لتخفيف حِدة المصاب ووقعه وهذا ضرب من الأسلوب الخطابي.

---

[1] النقد الأدبي – أحمد أمين – القاهرة 1983م – الطبعة الخامسة ص53.

[2] العقد الفريد –ج3 – ص186

وقد يخاطب الشاعر ابنه من غير أداة نداء كقول ابن الرومي في رثاء ابنه محمد:

محمَّدُ ما شيءٌ تُوهِّم سلوةً		لقلبي إلاَّ زاد قلبي من الوجدِ
أرى أخويكَ الباقِينِ فإنما		يكونان للأحزَانِ أورى من الزَّندِ [1]

فإذا استخدم الشاعر أسلوب الخطاب من غير أداة كأن ينادي فقيده مباشرة باسمه فإنه يؤكد إحساسه بالقرب والدنو من فلذة كبده، أمّا إذا استخدم أداة النداء إضافة إلى اسم الفقيد فهذا يؤكد عمق الحسرة وشدة الحزن ومرارة الحرمان مع إحساسه بقربه من فقيده وقرة عينه.

أمّا بشار فقد خاطب جارته طالباً منها الرجوع إلى الله وعدم الجزع حيال المصيبة التي ألمّت بهما وفي قوله(أجارتنا) يريد بالجارة زوجته يقول في رثاء ابنه:

أَجارَتَنا لا تَجزَعي وَأَنيبي

أَتاني مِنَ المَوتِ المُطِلِّ نَصيبي[2]

فقد جنح الشعراء لأسلوب الخطاب تحقيقاً لوقوع المصاب وتأكيد لقرب الفقيد. وقد يطلب الشاعر من عينيه البكاء ويلح في الطلب وكذلك الدعاء لغير الفقيد بالسقيا، وغيره من الأساليب الطلبية وهذا كثير شائع في رثاء الأبناء ومن أمثلة ذلك قول ابن الرومي في رثاء ابنه محمد:

أعينيّ جودا فقد جدت للثرى بأكثر مما تمنعان وأطلبا

فإن تمنعان الدمع أرجع إلى أسى إذا فترت عنه الدموع تلهبا[3]

---

[1] ديوان ابن الرومي– ج 2 – ص 626

[2] موسوعة دواوين الشعراء العرب– بشّار بن برد – د. محمد عفيفي دار الرائد العربي- بيروت– ص 195

[3] ابن الرومي حياته من شعره– عباس محمود العقاد– المكتبة التجارية الكبرى– القاهرة- الطبعة الخامسة1963م – ص 99

ومن الأساليب التي انتشرت في ثنايا قصائد رثاء الأبناء أسلوب الإستفهام وهو ضرب لا يحتاج إلى جواب بل يجيء مؤكداً للحزن والألم الذي يعيشه الشاعر ومن ذلك قول عبدالله بن ثعلبة في رثاء ابنه قائلاً:

أأخصب رأسي أم أطيب مفرقي ورأسك مرموس وأنت سليب[1]

فكل أساليب الإستفهام مجتمعة سواء كانت تقريرية أم للتعجب والدهشة أو الإنكار، جاءت لتحقيق هدفاً مشتركاً إلا هو شدة الحزن والألم على المرثي.

وقد يعمد الشاعر إلى أسلوب النهي رامياً إلى إظهار قوته وتحمله للمصائب والإحن، ومن هؤلاء أبو تمام وهو يرثي ابنه مخاطباً الشامتين من أعدائه:

لا تحسبن الموت عاراً فإننا رأينا المنايا قد أصبن محمداً

ولا يحسب الأعداء أن مصيبتي أكلّت لهم مني لساناً ولا يدا [2]

وعلى أن القصائد الرثائية طابعها الحزن المفرط وخاصة قصائد رثاء الأبناء نجد بعض الشعراء يميلون إلى تبرير ذلك الحزن، ويمزجون ذلك التبرير بضروب من الاحتجاج أو التعليل أو الاستفهام. ومن هؤلاء ابن الرومي الذي قال في رثاء ابنه الأوسط محمد:

وأولادنا مثلُ الجَوارح أيُّها		فقدناه كان الفاجع البَيِّنَ الفقدِ
لكلٍّ مكانٌ لا يسُدُّ اختلالهُ		مكانُ أخيه في جَزُوعٍ ولا جلدِ
هل العينُ بعدَ السَّمع تكفي مكانهُ		أم السَّمعُ بعد العين يهدي كما تهدي[3]

[1] العقد الفريد – ج 3 – ص 191

[2] شرح ديوان ابو تمام – إيليا الحاوي – دار الكتاب اللبناني – ص 659

[3] ديوان ابن الرومي – ج 2 ص 625 - 626

ومن الشعراء من سلك مسلك العزاء والتأسي لتخفيف حدة الموت وسطوته، يقول بشار بن برد في رثاء ابنه محمد:

وفي كل يوم عبرة لا أفيضها

لا حظى بصبر أم بحط ذنوب[1]

ومن الأساليب التي اختفت من شعر رثاء الأبناء الأسلوب القصصي. أما أسلوب الحكاية الذي يتضمن سرد الشاعر للذكريات التي حدثت لابنه قبل وفاته والمعاناة التي حلت به قبيل موته، ضمت خلاله يرسم صورة ماثلة لحالة ابنه لحظة الموت القاسية وهو يعاني سكراته المؤلمة، ومن هؤلاء ابن الرومي في رثاء ابنه:

لقد قلَّ بين المهد واللَّحد لبثُهُ	فلم ينسَ عهد المهد إذ ضمَّ في اللَّحدِ
تنغَّصَ قَبلَ الرَّيِّ ماءُ حَياتهِ	وفُجِّعَ منه بالعذوبة والبردِ
وظلَّ على الأيدي تساقط نَفْسُه	ويذوي كما يذوي القضيبُ من الرَّنْدِ
ألحَّ عليه الترفُ حتى أحالهُ	إلى صُفرة الحاديِّ عن حمرة الوردِ[2]

فقد حدد ابن الرومي سن ابنه من خلال خلقته ونضارته مقارناً بين حاله قبل المرض وبعده.

فأسلوب الحكاية يكشف عن بساطة تعبير الشاعر والحالة النفسية والمعاناة والألم الذي ألمّ به، كما يدلل على عجزه عن دفع الموت أو حتى مداراته أو تأخيره عن وقته والإفلات منه.

[1] ديوان بشار – ص 33

[2] ابن الرومي حياته في شعره– ص 97

اللغة:

هي الوعاء الناقل لتجربة معينة سواء كانت شعرية أم نثرية ولإدراك نجاح أو فشل التجربة المعنية لا بد من الوقوف على الألفاظ؛ فقيمة اللفظ في الشعر أنه أداة الأديب لنقل تجاربه الشعرية إلى الآخرين، وخاصة إذا توافرت لديه القدرة على إيجاد تناسق بين الألفاظ والتعبيرات من ناحية والحالة الشعورية من ناحية أخرى.[1]

فاللغة الشعرية وخاصة لغة شعر رثاء الأبناء طبيعي أن تجيء سهلة رقيقة ميسورة، وترجع رقتها لارتباطها بالمشاعر الإنسانية المرهفة. فجاءت الألفاظ تدور حول ثلاثة محاور:

المحور الأول: الألفاظ المشتركة بين الشعراء، أي التي كثر استخدامها وأصبحت مألوفة لدى شعراء رثاء الأبناء ومن ثم للناس، مثل: الحزن، والأسى، والمرارة، والقبر، والقنوط، والردى، والمنايا، والموت، والدهر، وغيرها.

المحور الثاني: الألفاظ التي ارتبطت بالفقيد وتعداد مناقبه وصفاته ومن أهمها: النخوة، والشجاعة، والكرم، والمروءة، والنجدة، والريحان، والغصن، والسيف، والهلال، والكوكب ترتبط بكيفية استخدام الشاعر لها.

المحور الثالث: ألفاظ تطورت بمرور الزمن وانتقالها من عصر إلى عصر، وآخري بظهور الإسلام مثل: احتسب، أوجز، الثواب، النعيم، العقاب، الجنة، النار وغيرها من الألفاظ.

فالرثاء هو تعبير عن خلجات النفس والمشاعر الحزينة المكلومة فعندما يعمد شاعر ما لرثاء عزيز لديه فهو بالضرورة يستعمل ألفاظ غاية في السهولة واليسر، فيجنح إلى السهل من الألفاظ نقلاً دقيقاً في صورة مكتملة العناصر واضحة المعالم، مألوفة

---

[1] النقد الأدبي – سيد قطب – الطبعة الرابعة1980م – بيروت – ص113

الألفاظ(لان التشكيل الفني للغة هو أكمل أداة اخترعها الإنسان حتى الآن، لنقل تجاربه نقلاً وافياً وحيوياً تام الإحاطة والعمق)[1]

وقد يستخدم الشاعر ألفاظاً يختلف تأثيرها من شخص لآخر فشاعر الرثاء لا يفتأ يستعمل ألفاظ قد تثير الخوف والهلع في نفوس الكثيرين، خاصة الإنسان العادي البعيد عن المصاب وألمه فإذا استعمل لفظة (الموت) نجده يكررها بجميع مترادفاتها من منون، وموت، وحدث، ودهر، ومنية، وردى وغيرها.

وقد يرى الشاعر في الموت ومعانية السبيل الوحيد الذي يصل بينه وبين فقيده فيتمني الموت لنفسه تارة ولأهله تارة أخرى، وقد يجنح إلى فداء ابنه بأعز ما يملك يقول بشار في رثاء ابنه محمد:

كَأني غَريبٌ بَعْدَ مَوْتِ «مُحَمَّدٍ«	ومَا المَوْتُ فِينَا بَعْدَهُ بغَرِيبِ
دعته المنايا فاستجاب لصوتها	فلله من داعٍ دعا ومجيب
لعمري لقد دافعت موت "محمَّد"	لَوَ انَّ المَنَايَا تَرْعَوِي لِطَبِيبِ[2]

فهو يحس بالغربة والفراق وألمه لفقد ابنه، ولكنه لا يحس بغرابة الموت ووحشته بعد الفقد الجلل، ويصوّر مدافعة الموت عن ابنه ولكنه يقرر أن المنايا لا يدفعها طبّ ولا طبيب فهي شيء لا بد من حدوثه؛ ويختتم مرثيتة بإستفهام يدل على التعجب من العيش في الدنيا التي فارقها حبيبه واندثار أيام السعادة بموته يقول:

وما خير عيش لا يزال مفجّعاً بموت نعيم أو فراق حبيب [3]

وقد انفرد شعر رثاء الأبناء بظواهر لغوية معينة ترتبط بتعلق الشاعر بابنه الفقيد، منها تكرار ألفاظ بعينها كأن يكرر أسم الفقيد، يقول ابن رشيق: (فتكرار الشاعر لاسم الفقيد

---

[1] محاضرات في عنصر الصدق في الأدب– محمد النويهي – معهد الدراسات العربية1959م – القاهرة – ص 34

[2] موسوعة دواوين الشعر العربي بشار بن برد– ص195

[3] المرجع السابق نفسه

دلالة على شدة الشوق للقائه فتكرار اسم الفقيد أو ما يدل عليه من ألفاظ "بُنيّ ، بنيّ، ابني" يدلل على شدة تعلقه به ويعكس الحالة النفسية التي يعيشها الوالد بعد الفقد ومراراته).

أمّا بشّار بن برد فنجده كرر لفظ (محمد) ثلاث مرات في قصيدته الرثائية التي يقول فيها:

كَأني غَرِيبٌ بَعْدَ مَوْتِ «مُحْمَّدٍ«		ومَا المَوْتُ فِينَا بَعْدَهُ بغَرِيبِ
لعمري لقد دافعت موت "محمَّد"		لَوَ انَّ المَنَايَا تَرْعَوِي لِطَبِيبِ
وَقَدْ كُنْتُ أرْجُو أنْ يَكُونَ «مُحَمَّدٌ«		لنا كافياً من فارسٍ وخطيبِ[1]

وكذلك سلك إبراهيم بن المهدي المسلك السابق نفسه بأن رأى في فراق ابنه الفراق الأبدي والصرم القاطع الذي لا يُرجى عودته أو وصله ويذكر أوبة كل غريب عن دياره إلى أهله وموطنه مهما طال الزمان أو قصر. أما غياب ابنه من نوع خاص فلا يعود مرة أخرى يقول في رثائه:

يؤوب إلى أوطانه كل غائب وأحمد في الغياب ليس يؤوب[2]

من المظاهر اللغوية التي استخدمها الشعراء في رثاء أبنائهم ضمير المتكلم ويرجع استخدامه لحالة الشاعر حيال فقده لابنه وإحساسه بالمأساة والفجيعة وعمقها، فيعمد إلى مناجاة نفسه مستخدماً ضمير المتكلم ليصوّر حالة الحزن والألم التي اعترته، وليعكس تلك الظلال الكئيبة التي غللت نفسه ومن ذلك قول ابن الرومي في رثاء ابنه محمد:

عجبتُ لقلبي كيف لم ينفطرْ لهُ		ولو أنَّهُ أقسى من الصخر الصَّلْدِ
كأني ما استَمْتَعتُ منك بنظرةٍ		ولا قُبلةٍ أحلى مذاقاً من الشَّهدِ
كأني ما استمتعتُ منك بضمّةٍ		ولا شمَّةٍ في ملعبٍ لك أو مهدِ[3]

[1] موسوعة دواوين الشعر العربي بشار بن برد– ص195

[2] الكامل في اللغة والأدب– المبرد – ج 2 – مؤسسة المعارف– بيروت - 318

[3] الكامل – المبرد – ص318

ومن ذلك قول بشار:

صبرتُ على خير الفتوِّ رزئتهُ		ولولا اتقاء الله طال نحيبي
لعمري لقد دافعتُ موت "محمَّد"		لَوَ انَّ المَنَايَا تَرْعَوِي لِطَبِيبِ
فَأصْبَحْتُ أبْدِي لِلْعُيُون تَجَلُّداً		ويا لك من قلبٍ عليه كئيبِ[1]

فإن كان ضمير المتكلم يصوّر الحالة النفسية والشعورية لدى الشاعر. كما أسلفنا فإن ضمير الغائب يصوّر مناقب وصفات الفقيد، يقول إبراهيم المهدي في رثاء ابنه:

أقام بها مستوطناً غير أنه على طول أيام المقام غريب

كأن لم يكن كالغصن في ميعة الضحى سقاه الندى وأهتزّ وهو رطيب [2]

ومن الملاحظ على ألفاظ قصائد رثاء الأبناء انعدام الركاكة والضعف وكذلك الألفاظ الوعرة والمتكلفة؛ وذلك لصدق الشاعر مع نفسه أولاً ولاهتمامه بالتعبير عن ألمه وحزنه دون الالتفات إلى نواحٍ أخرى.

ولعل هناك جانباً مادياً حضارياً ساعد في ظهور ألفاظ جديدة، وذلك بفضل اتصال الإسلام بغيره من الشعوب وحضاراتهم المختلفة يقول الجرجاني: ((فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأدب والتطرف في اختيار الناس من الكلام ألينه وأسهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً، وألطفها من القلب موقعاً...))[3]

وقد استخدم شعراء رثاء الأبناء ألفاظاً جديدة للتدليل على جمال أبنائهم أو سرعة فنائهم وقلة مكثهم. من تلك الألفاظ (ريحان، حمرة الورد، البستان، مؤنس قصري، وهلال ، وكوكب) وغيرها كقول ابن الرومي:

---

[1] الكامل – المبرد ص318

[2] ديوان بشار ص139

[3] الوساطة بن المتنبي وخصومه– الجرجاني – ص 18

ألحَّ عليه الترفُ حتى أحالهُ		إلى صُفرة الحاديِّ عن حمرة الوردِ
وظلَّ على الأيدي تساقط نَفْسُه		ويذوي كما يذوي القضيبُ من الرَّنْدِ[1]

ومن الألفاظ (هلال) كوكب قال التهامي :

يا كوكباً ما كان أقصرَ عمره وكذاك عمر كواكب الأسحار

وهلال أيام مضت لم يستدر بدراً ولم يُمهل لوقت سرار

ومن الظواهر اللغوية التي اختفت في قصائد رثاء الآباء لأبنائهم اختلاف اللهجات.

[1] ابن الرومي – ص 97

المبحث الثاني

الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية

عندما نطلق لفظة الموضوعية نعني بها أن القصيدة تدور حول موضوع واحد معين لا تتعداه إلى غيره من الموضوعات الأخرى.

وإذا جنحنا إلى الجانب التطبيقي للوحدة الموضوعية لعدد من قصائد رثاء الأبناء وأن كانت في فترات متباعدة، أي على اختلاف العصور سواء كان الجاهلي أو الإسلامي أو العباسي وجدنا طابعها واحداً ووجها واحداً أي أنها تمتاز بوحدة الموضوع.

هذه الوحدة الموضوعية تتوفر في قصائد رثاء الأبناء جميعها سواء كانت مقطوعة شعرية أم مرثية متكاملة.

فالمقطوعة الشعرية هي التي تصوّر الوحدة الموضوعية بوضوح ذلك لأنها لا تستدعي أكثر من التعبير عن الحالة النفسية لدى الشاعر.

أمّا إذا تأملنا القصائد الرثائية الطويلة وبحثنا في ثناياها عن الوحدة الموضوعية نجدها واضحة المعالم بارزة السمات فمنذ الوهلة الأولى لقراءتها تتضح الوحدة الموضوعية وينفرد الموضوع والمدار الذي يدور حوله ويتجلى طابعه العام ومبعثه الخاص ألا هو الحزن وشدة الألم على المرثي فمثلاً قصيدة المعتمد التي رثى فيها ابنيه التي يقول في مطلعها:

يقولون: صبراً لا سبيل إلى الصبر سأبكي وابكي ما تطاول من عمري

هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه يزيد فهل عن الكواكب من خبر[1]

[1] المعتمد – على أدهم – ج 2 – مكتبة مصر – ص 303

فهو يفتتح مرثيته بمفارقة الصبر نفسه أمام ذلك الخطب قاطعاً عهداً على نفسه بالبكاء والحزن مدى الدهر عليهما فبّين سبب جزعه وسخطه بقوله : (هوى الكوكبان) فهو يريد تشبيههما بالكواكب لعلوها وجمالها وحسن مطلعها، وينتقل في كل قصائد رثاء الأبناء لا نجد إلا وحدة موضوعية بل للعامل النفسي الذي يحيط بالشاعر فيشعله عن حشو أغراض شعرية أخرى في مرثيته.

الوحدة العضوية:

يقصد بالوحدة العضوية أن يكون موضوع القصيدة واحداً وكذلك مشاعرها التي تنتج عنها مع تناسب الصور والأفكار حتى تكون القصيدة بنية في شكلية وشعورية واحدة.[1]

فالوحدة العضوية كما عرفها محمد غنيمي هلال يقول: (نقصد بالوحدة العضوية في القصيدة وحدة الموضوع ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع وما يستلزم ذلك من ترتيب الأفكار والصور على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحيّة لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدى بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر)[2]

فإذا تابعنا الوحدة العضوية من خلال قصائد رثاء الأبناء وقمنا بدراسة تطبيقية لقصيدة ما لأبي الحسن التهامي أو ابن الرومي أو غيرهما وجدنا عناصرها ملتحمة التحاماً تاماً، ففي قصيدة أبي الحسن التي رثى فيها ابنه نلاحظ الوحدة في أتم صوّرها، فالمشاعر واحدة والحالة النفسية متسلسلة يفضي من بيت لآخر في ترابط وانسجام فالقصيدة تمثل بنيه حية متماسكة يقول فيها:

---

[1] أنظر فصول في النقد الأدبى وتاريخه دراسة وتطبيق د. عباس محجوب. ود. ضياء الصديق– دار الوفاء1989م – الطبعة الأولى ص266.

[2] في النقد الأدبي الحديث – محمد غنيمي هلال- دار الثقافة بيروت – دار العودة بيروت – حقوق الطبع محفوظة – 1973/7/1م – ص 394.

حكمُ المنيَّة في البريَّة جارِ	ما هذه الدنيا بدار قرارِ
بينا يُرى الإنسانُ فيها مخبراً	حتى يُرى خبراً من الاخبار
طُبعت على كدرٍ وأنت تريدُها	صفواً من الأقذاء والأكدار
ومكلّف الأيَّامِ ضدَّ طباعها	متطلّبٌ في الماءِ جذوة نار
وإذا رجوتَ المستحيل فإنما	تبني الرَّجاء على شفيرِ هار
فالعيشُ نوم والمنيّة يقظة	والمرءُ بينهما خيالٌ سار
والنفسُ إذا رضيت بذلك أو	أبت منقادةٌ بأزمة المقدار
فاقضُوا مآربكم عجالاً إنما	أعماركم سفرٌ من الأسفار
وتراكضوا خيل الشباب وحاذروا	أن تستردَّ فإنهن عوار
فالدّهر يخدعُ بالمنى ويغصّ إن	هنّ ويهدم ما بنى ببوارِ
ليس الزمانُ وإن حرصتَ مسالماً	خُلق الزمان عداوةُ الأحرار[1]

بدأ التهامي مرثيته بحكمة رائعة تدلك على براعة استهلاله، وتحدث فيها عن الحياة والموت وأبان أن الدنيا دار بوار وفناء لا دار قرار وبقاء، وهذه المقدمة رائعة الصياغة جيدة السبك دالة على الصبغة العامة للقصيدة فقد جمعت عصارة الحكمة وكمال العاطفة وتأججها.

بعد هذه الوقفة انتقل إلى رثاء ابنه وتعداد مناقب فقيده والآمال العراض التي كان يرجوها ويتمناها والأحلام التي كانت تراوده ويتمنى أن يعيشها مع فلذة كبده يقول:

يا كوكباً ما كان أقصرَ عمره	وكذاك عمر كواكبُ الأسحار
وهلالَ أيام مضت لم يستدر	بدراً ولم يُمهل لوقت سرار
عجل الخسوفُ عليهِ قبل أوانهِ	فمحاه قبل مظنّةِ الإبدار
واستُلَّ من أترابه ولداتهِ	كالمقلة استُلّت من الأشفار
فكأنّ قلبيَ قبرهُ وكأنَّهُ	في طيِّه سرٌّ من الأسرار
إن يُحتقر صغراً فرب مفخّم	يبدو ضئيلَ الشخص للنظار
إن الكواكبَ في علوّ محلّها	لتُرى صغاراً وهي غيرُ صغار[2]

[1] جواهر الأدب – الطبعة التاسعة والعشرون – ص616
[2] أحمد الهاشمي – جواهر الأدب – ص617

صور لنا الشاعر ابنه وسرعة موته مشبهاً إياه بكوكب السحر تارة والهلال الذي لم يكمل دورته تارة أخرى. وكذلك وصف لحظة الموت العصيبة وحدد حالة الموت وهو يطوي ابنه من بين أقرانه بحال العين التي تقتلع من أجفانها؛ فالإحساس بالألم والحسرة وعمق المصاب واضح وجلي.

فقد صوّر لنا التهامي تجربته الحياتية ورسم الفجيعة في أوضح صورها وأبرز لنا مرارة الفقد وألم الحرمان من خلال الألفاظ التي استخدمها مثل: (استل – مقلة) وبعد أن بكى التهامي ابنه وطال بكاؤه وبكى الصفات والآمال والأماني التي كان يرجو تحقيقها تراخى عن ذلك الجزع وجنح يعتذر لفقيدة حيث يقول:

أبكيهِ ثم أقول معتذراً له		وُقّقتَ حين تركتَ ألأم دار
جاورتُ أعدائي وجاورَ ربّهُ		شتّان بين جوارهِ وجواري

فالتهامي يري مغادرة ابنه للدنيا فوزاً ونصراً وسبقاً فهو انتقل إلى جوار ربه وطوى صفحة الدنيا بالآمها وأكدارها ونجا ونال جوار الله أمّا هو فلا يزال في جوار البشر فمنهم العدو ومنهم الصديق ولكن جوار ابنه لا يُضاهى.

وبعد أن جسّد لنا المنية وهي تطوي ابنه على صغره، جنح إلى حاله بعد فراق ابنه والحزن المّؤجج بجوانحه يقول:

أشكو بُعادك لي وأنت بموضعٍ		لولا الرّدى لسمعتَ فيه سراري
والشرقُ نحو الغرب أقربُ شُقَّة		من بُعدِ تلك الخمسةِ الأشبار
هيهاتَ قد علقتك أشراكُ الردى		واعتاقَ عمركَ عائقُ الأعمار
ولقد جريتَ كما جريتُ لغايةٍ		فبلغتها وأبوك في المضمار
فإذا نطقتُ فأنت أوّلُ منطقي		وإذا سكتُّ فأنت في إضماري
أخفي من البُرَ حاء ناراً مثلما		يخفى من النار الزنادُ الواري

وأخفِّضُ الزفراتِ وهي صواعد		وأُكفكفُ العبراتِ وهي جوار
وشهاب زندِ الحُزن أن طاوعتهُ		وارٍ وإن عاصيتهُ متوار
وأكفُّ نيران الأسى ولربّما		غُلب التصبُّرُ فارتمت بشرار
ثوبُ الرياء يشفُّ عما تحتهُ		فإذا التحفت به فإنك عاري[1]

هذه الأبيات تعبّر عن زفرات نفس فاضت حزناً وأسى ونبضات قلب ألمه الضنى؛ ولعل التهامي بكى ابنه كنموذج إنساني فقد جاء رثاؤه رثاء للإنسانية جمعاء في شخص ولده. فلا عجب أن تنتشر في طيّات القصيدة الحكمة الرائعة والنظرات الصائبة للحياة والعمل للآخرة بجانبي الحزن الذي هو الطابع العام للقصيدة.

ثم يختم الشاعر قصيدته بحكمه رائعة يقول فيها.

ذهب التكرُّم والوفاء من الورى		وتصرّما إلا من الأشعار
وفشت خياناتُ الثقات وغيرهم		حتى اتهمنا رؤية الأبصار
لِلَّهِ دُرُّ النائِباتِ فَإِنَّها		صَدأُ اللِئامِ وَصيقل الأحرار[2]

بعد أن وصف لنا الشاعر عميق حزنه وعظيم أسفه وألمه التفت إلى الحساد الذين يرى في نظراتهم الشماته؛ ويحس منهم لهب الحسد والبغض فيرثي لحالتهم ويفخر عليهم بفضائله وتواضعه، ومن ثم يجنح إلى الحكم الرائعة التي وإن كثرت وانتشرت في ثنايا القصيدة فهي تتناسب مع هذا الغرض الشعري (الرثاء).

فالوحدة العضوية تظهر في أجّل صورها وأبلغها فمشاعر الحزن منبعثة من نفس مكلومة، وحالته النفسية والشعورية تفضي به من معنى إلى آخر، فقد جسّد لنا الشاعر نظراته في الحياة والموت وصلة ذلك بالفقد الجلل الذي أصابه، وقد عمد إلى الحكمة الرائعة التي تناسب الموقف تماماً، فجاءت القصيدة متكاملة متماسة حيّة

[1] احمد الهاشمي – ص 616
[2] المرجع السابق نفسه ص620

واخترت قصيدة التهامي في رثاء ابنه لأثبت من خلالها وضوح الوحدة العضوية وانسيابها مع طول القصيدة فهذا إن دل على شيء إنما يدل على توفر الوحدة العضوية خلال قصائد رثاء الأبناء عامة، وهذا الاختيار على سيبل المثال لا الحصر

المبحث الثالث

الصور البلاغية لبعض قصائد رثاء الآباء لأبنائهم

تكثر الصور الفنية في شعر رثاء الآباء لأبنائهم، فالرثاء شعر والشعر لا بد من وجود الصور الفنية فيه حيث تزيد من إحكام النسج وشدة الحبك. ومن الصور الفنية التي صوّرها الشعراء؛ صورة المنية لقد تعدّدت عند الشعراء صورة المنية ، ومرجع هذا إلى نفسية الشاعر وهو يشكل هذه الصورة.

والمنية عند أبي ذؤيب الهذلي ذات أظفار، وهي وسيلة الغاب، وسلاح الوحوش في الغالب، لذلك بطشت على غير هدى، وافترست خمسة من أبنائه، أما سلاحه في دفع المنية عن أبنائه فهو حملة تمائم عجزت أمام الوحوش الكاسرة حيث يقول:

وَلَقَد حَرِصتُ بِأَن أُدافِعَ عَنهُمُ فَإِذا المَنِيَّةُ أَقبَلَت لا تُدفَعُ
وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

أنشبت أظفارها جسّد المنايا بحيوان مفترس له أظافر وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهي إثبات الأظفار للمنية

كذلك من الصور التي استخدمها الجناس والطباق وفي قوله:

أَمِنَ المَنونِ وَريبقِ تَتَوَجَّعُ وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ

تتوجع – يجزع – جناس غير تام لاختلاف اللفظين في نوع الحروف

أودى بَنِيَّ وَأَعقَبوني حسرة بَعدَ الرُقادِ وَعَبرَةً لا تُقلِعُ

حسرة – وعبرة – جناس غير تام لاختلاف اللفظين في نوع الحروف

فبقَيتُ بَعدَهُمُ بِعَيشٍ ناصِبٍ وَإِخالُ أَنّي لاحِقٌ مُستَتبَعُ

ناضب – لاحق جناس غير تام

سَبَقوا هَوَيَّ وَأَعنَقوا لِهَواهُمُ فَتُخُرِّموا وَلِكُلِّ جَنبٍ مَصرَعُ

سبقوا – واعنقوا – جناس غير تام لاختلاف اللفظين في نوع الحروف

الصور البلاغية في قصائد الفرزدق:

على حَزَنٍ بَعْدَ اللَّذَينِ تَتَابَعَا لهَا، والمَنَايَا قَاطِعَاتُ التّمَائِمِ

المَنَايَا قَاطِعَاتُ التّمَائِمِ- جسّد المنايا كأنها سيوف وحذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهي إثبات القطع للمنايا على سبيل الاستعارة المكنية.

وَمَاتَ أبي وَالمُنْذِرَان كِلاهُمَا وَعَمْرو بنُ كُلْثُومٍ شهابُ الأرَاقم

شهابُ الأرَاقم تشبيه حيث شبه عمر بن كلثوم بالشهاب بجامع الضياء والهدى في كل وهو تشبيه بليغ.

رَأيْتِ القَارِعَاتِ كَسَرْنَ مِنّا، عِظَاماً، كَسْرُهُنّ إلى جُبُورِ

رَأيْتِ القَارِعَاتِ كَسَرْنَ مِنّا عِظَاماً - جسّد القارعات كأنها شيء يُرى ويُبصر، كما جسدها كأنها شيء يكسر العظام وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

رزئنا غالباً وأباه كانا سماكي كل مهتلك فقير

شبه غالباً وأباه بالنجمين ولم يأتٍ بأداة تشبيه ولا وجه شبه على سبيل التشبية البليغ.

إذا حنّت نوار تهيج منيّ حرارة مثل ملتهب السعير

حرارة مثل ملتهب السعير – شبه الأشواق التي تعتمل في داخله بحرارة ملتهبة وحذف المشبه وصرّح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

حَنِينَ الوَالِهَينِ، إذا ذَكَرْنَا		فُؤادَيْنَا، اللَّذَينِ مَعَ القُبُورِ
إذا بَكَيَا حُوَرَاهُما استَحَنّتْ		جَناحِنَ جِلّةِ الأجْوَافِ خُورِ
بَكَينَ لشَجْوهنّ فَهجْنَ بَركاً		عَلى جَزَعٍ لِفَاقِدَةٍ ذَكُورِ

في هذه الأبيات تشبيه بليغ بصورة المفعول المطلق حيث شبه حنينه عندما تحن زوجه بهذا النوع من الحنين.

كَلَيْلِ مُهَلْهِلٍ لَيْلَى، إذا مَا تَمَنّى الطّولَ ذُو اللّيْلِ القَصِيرِ

كَلَيْلِ مُهَلْهِلٍ - شبه ما يعانيه وما يقاسيه بليل المهلهل عشيق ليلى لأنه يعانى ويقاسي باعتبار أن ليل العاشقين طويل.

الصور البلاغية في قصيدة جرير:

لكن سواده يجلو مقلتي لحم ... بازٍ يصرصر فوق المرقب العالي

لحم باز تشبيه حيث شبه ابنه بالبازي وهو حيوان ضخم

قوله" :يجلو مقلتي لحم"، شبه مقلتيه بمقلتي البازي، ويقال: "طائر لحم" من هذا .وقوله: "يصرصر" يعني يصوت، يقال: صرصر البازي والصقر، وما كان من سباع الطير، ويقال: صرصر العصفور: وأحسبه مستعاراً.

كَـــأَمِّ بَـــوٍّ عَـجـولٍ عِـنـدَ مَـعـهَـدِهِ حَـنَّـت إلـــى جِـلـدٍ مِـنـــهُ وَأوصـــال
تَـرتَـعُ مـــا نَـسِـيَـت حَـتّـــى إذا ذُكِّـــرَت رَدَّت هَـمـاهِـمَ حَـرّى الـجَـوفِ مِـثـكـال

شبه حاله بحالة البقرة التي اتخذت من جلد البوّ حنيناً ووصلاً له.

فارَقتَني حيـــنَ كَـــفَّ الدَهـــرُ مِـــن بَصَـــري وَحـــيـــنَ صِـــرتُ كَعَـظـمِ الـرَمَّـــةِ البـــالـــي

شبه حاله بعد فراق محبوبه بالعظم البالي ليبين أنه أصبح ضعيفاً نحيلاً وأخذ الحب منه كل الجسد وما بقي له سواء العظام.

الصور البلاغية لقصائد أبو تمام:

ولا يحسبِ الأعداءُ أن مصيبتي أكلتْ لهمْ مني لساناً ولا يدا

مصيبتي أكلت حيث جسّد المصيبة كأنها إنسان يشعر بالكلل وحذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهو إثبات الكلل للمصيبة على سبيل الاستعارة المكنية.

بعيد دار غريب جار . . . قد فارق الإلف والقرينا

بعيد، قريب طباق إيجاب – دار ، جار جناس

الصور البلاغية لقصائد ابن الرومي:

بُنَيَّ الذِي أهْدَتْهُ كَفَّايَ لِلثَّــرَى فَيَا عِزَّةَ المُهْدَي ، وَيَا حَسْرَةَ المَهْدِي

المّهدِي – والمهدي – جناس غير تام للاختلاف في شكل الحروف.

تَوَخَّى حِمَامُ المَوْتِ أوْسَطَ صِبْيَتِي فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ العِقْدِ

توخى حمام الموت – جسّد الموت بأنه شيء يتوخى وحذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي على سبيل الإستعارة المكنية.

طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّيْ ، فَأضْحَى مَزَارُه بَعِيْدَاً عَلَى قُرْبٍ ، قَرِيْبَاً عَلَى بُعْدِ

طَوَاهُ الرَّدَى – جسّد الردى كأنه شيء يُطوى وحذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

بَعِيْدَاً عَلَى قُرْبٍ ، قَرِيْبَاً عَلَى بُعْدِ – مقابلة معنيين بمعنيين

لَقَدْ أنْجَزَتْ فِيْهِ المَنَايَا وَ عِيْدَهَا وَأخْلَفَتِ الآمَالُ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ

أنْجَزَتْ فِيْهِ المَنَايَا وَ عِيْدَهَا – جسّد المنايا كأنها إنسان له وعد وحذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه وهو إثبات الوعد للمنايا على سبيل الإستعارة المكنية.

وَأخْلَفَتِ الآمَالُ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ – جسّد الآمال كأنها إنسان يخلف الوعد وحذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية.

وأولادنا مثلُ الجَوارح أيُّها فقدناه كان الفاجع البَيِّنَ الفقدِ

وأولادنا مثلُ الجَوارح – شبه أولادهم بالجوارح بجامع القوة في كلٍ والتشبيه مرسل، لأنه ذكر فيه أداة التشبيه.

إذا لعِبا في ملعب لك لذَّعا فؤادي بمثل النار عن غير ما قَصدِ

فؤادي بمثل النار – شبه فؤاده بالنار وهو تشبيه مرسل.

وأنتَ وإن أُفردْتَ في دار وحْشة فإني بدار الأنسِ في وحشة الفردِ

وحْشة – وأنس – طباق إيجاب

أودُّ إذا ما الموتُ أوفدَ مَعشَراً إلى عَسكر الأمواتِ أنِّي من الوفْدِ

الموتُ أوفدَ مَعشَراً – جسّد الموت كأنه إنسان يسوق وحذف المشبه به وهو الإنسان ورمز بشيء من لوازمه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهو إثبات السوق على سبيل الاستعارة المكنية.

لهفي على لُبْسك ثوبَ البلى من قبل إخلاقِكَ ثوب الشبابْ

ثوبَ البلى – جسّد البلى كأنه ثوب يلبس، وأيضاً كناية عن الكبر.

الصور البلاغية للشاعر بشّار بن برد

دَعَتهُ المَنايا فَاِستَجابَ لِصَوتِها فَلِلَّهِ مِن داعٍ دَعا وَمُجيبِ

دَعَتهُ المَنايا- جسّد المنايا كأنها إنسان يدعو وحذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه وهو إثبات الدعوة للمنايا على سبيل الاستعارة المكنية.

فَاِستَجابَ لِصَوتِها – جسّد المنايا كأنها شيء له صوت وحذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

عَجِبتُ لِإسراعِ المَنِيَّةِ نَحوَهُ و كانَ لَو مُلْيتُهُ بِعَجيبِ

إسراع المنية – جسّد المنية كأنها شيء يسرع وحذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

رُزِئتُ بُنَيِّ حينَ أورَقَ عودُهُ وَألقى على الهَمَّ كُلُّ قَريبِ

أورَقَ عودُهُ – كنايه عن صفة الشباب

وَألقى على الهَمَّ - جسّد الهمّ كأنه شيء يلقى عليه ورمز بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

وَكانَ كَرَيحانِ العَروسِ بَقاؤُهُ ذوى بَعدَ إشراقِ الغُصونِ وَطيبِ

كَرَيحانِ العَروسِ –شبة محمد بريحان العروس بجامع الجمال في كل

وَما خَيرُ عَيشاً لا يَزالُ مُفَجَّعاً بِمَوتِ نَعيمٍ أو فِراقِ حَبيبِ

عيش – موت – طباق إيجاب حيث جمع بين الشيء وضده في الكلام .

إذا شِئتُ راعَتني مُقيماً وَظاعِناً مَصارِعُ شُبّانٍ لَدَيَّ وَشيبِ

مقيماً – ظاعناً – طباق إيجاب جمع بين الشيء وضده في الكلام .

شبان – شيب – طباق إيجاب جمع بين الشيء وضده في الكلام .

الصور البلاغية في قصيدة أبي الحسن التهامي :

ُطبعت على كدرٍ وأنت تريدُها صفواً من الأقذاء والأكدار

كدر – صفو – طباق إيجاب جمع بين الشيء وضده في الكلام .

فالعيشُ نوم والمنيّة يقظة والمرءُ بينهما خيالٌ سار

فالعيشُ نوم والمنيّة يقظة - مقابلة

والنفسُ إذا رضيت بذلك أو أبت منقادةٌ بأزمة المقدار

رضيت وأبت – طباق إيجاب جمع بين الشيء وضده في الكلام .

أزمة المقدار – شبة المقادير كأنها شيء له أزمة وحذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية .

وتراكضوا خيل الشباب وحاذروا أن تستردَّ فإنهن عوار

خيل الشباب – استعارة مكنية

يا كوكباً ما كان أقصرَ عمره وكذاك عمر كواكبُ الأسحار

شبة ابنه بالكوكب حذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به مع استعمال اللفظ الدال على المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية .

الخاتمة :

خلصت الدراسة التي بعنوان رثاء الآباء لأبنائهم في الشعر العربي في العصرين الأموي والعباسي إلى أن الدافع الأساسي والمحرك الأصلي في ظاهرة رثاء الأبناء هو الحزن المطلق الذي ينبعث من وجدان مزّقه الألم ومشاعر ضعضعها وأضعفها الوهن؛ فهي تتحرك مخلفة وراءها كلمات نبعت من صميم قلب صادق؛ عبّرت عن حزن جلل وفقدٍ عظيم، كما أثبتت الدراسة تعريف الرثاء في اللغة والاصطلاح وبيان أنواعه وآراء النقاد فيه، كما بينت الدراسة مدى التحول في افتتاح القصيدة العربية فقد تنحى شاعر قصائد رثاء الأبناء عن المقدمة الطلبية ونبذ الرحلة والرفيق واستأنس البدء بما يشغله من مصاب وفجيعة مترجماً المعاناة التي ألمت به والهول الذي أحاط به من كل جانب.

كذلك أثبتت الدراسة السمات الفنية والخصائص التي صبغت قصائد رثاء الأبناء، وأثبتت من خلالها توفر الوحدة الموضوعية والعضوية وانتشارها في ثنايا القصيدة الرثائية وهذا ما اختلف فيه النقاد.

كذلك كشفت الدراسة الأثر الفعلي للإسلام من خلال قصائد رثاء الأبناء وتجلي النواحي الاجتماعية والحضارية والفكرية والنقلة التي أحدثها الإسلام، وتغيير المفاهيم الإنسانية وظهور فكرة العقاب والثواب والاحتساب.

كما بينت الدراسة أهمية العصرين الأموي والعباسي وتميزهما عن سائر العصور الأخرى وكان لامتزاج الشعوب وتداخل الحضارات أثر واضح، تجلي من خلال قصائد الشعراء وأساليبهم وتنوع أفكارهم.

النتائج والتوصيات :

١ -شعر الرثاء تصور فيه العاطفة الصادقة

٢ قوة الصور البيانية في شعر الرثاء

٣ -كثرت التشبيهات والاستعارات في شعر الرثاء

توصي الباحثة بمزيد من الدراسات في هذا الموضوع .

اسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يفتح به سبيل لكل باحث عن حقيقة واستعيذه من الغفلة فإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وإن أصبت فمن الله وفضله عليّ .

أرجو أن تكون هذه الوقفة متأنية أعطت هذان العصران حقهما من الدراسة، ولكني لست جازمة بأنه تحقق أم لا ، فالأمر متروك للقارئ الكريم ولكل من يطّلع هذه الدراسة.

والحمدلله أولاً وأخيراً.

المصادر والمراجع:

-ابن الرومي حياته في شعره- عباس محمود العقاد – المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة – الطبعة الخامسة – 1963م.

-أحلى ما قيل في الرثاء- إيمان البقاعي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – 1429 هـ- 2008 بدون طبعة

-أسس النقد الأدبي عند العرب – أحمد أحمد بدوي – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – بدون طبعة

-تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخورى – الطبعة12 – المكتبة البوليسية

-تراجم الشعراء – دكتور يحي مراد.

-التعازي والمراثي – إبراهيم بن المهدي بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب.

-جواهر الأدب– أحمد الهاشمي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى

-ديوان بشّار – إعداد محمد عبدالرحيم – إخراج هوساك كومبيوتر برس المشرف العام راتب قبيعة – دار الراتب الجامعية – طبع في لبنان – الطبعة الأولى 2008

-ديوان ابن الرّومي – ج1 – شرح وتحقيق عبدالأمير على مهنا – منشورات دار مكتبة الهلال – الطبعة الأولى 1411هـ 1991م

-ديوان أبو نواس – أعده وحققه سالم شمس الدين – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – الطبعة الأولى 2010م – 1431هـ

-ديوان أبو تمام إعداد محمد عبدالرحيم إخراج هوساك كومبيوتر برس – إشراف راتب قبيعة – دار الراتب الجامعية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولي 2008م

-ديوان أبي الحسن التهامي – علي بن محمد التهامي أبو الحسن – تحقيق محمد بن عبدالرحمن الربيع – مكتبة المعارف 1402هـ 1982 الطبعة الأولى

-ديوان أبو العتاهية – إعداد محمد عبدالرحيم – دار الراتب الجامعية – لبنان – الطبعة الأولى 2008م

-ديوان جرير – دار صادر – بيروت – بدون طبعة

-ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، 1386هـ، 1966م،

-ديوان الهذليين – الشعراء الهذليين – تحقيق أحمد الزين – محمود ابوالوفاء – دار الكتب المصرية – 1385هـ / 1965م.

-شرح ديوان أبي تمام – شرحه شاهين عطية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان طبع في المطبعة الأدبية.

-الشعر والشعراء لابن قتيبة – تحقيق دكتور مُفيد قميحة – أ. محمد أمين الضنّاوي – دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1421 هـ 2000م

-العقد الفريد – الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفي 328هـ تحقيق محمد عبدالقادر شاهين – ج 3 – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.

-العمدة في محاسن أهل الشعر وآدابه ونقده– علي الحسن بن رشيق القيرواني– ج 2 – شرحه صلاح الدين الهواري وهدى عودة – دار مكتبة الهلال – جميع الحقوق محفوظة الطبعة الأولى. 1996م – 1416هـ.

-فصول في النقد الأدبي وتاريخه دراسة وتطبيق د. عباس محجوب. ود. ضياء الصديق – دار الوفاء 1989م – الطبعة الأولى

-في النقد الأدبي الحديث – محمد غنيمي هلال– دار الثقافة بيروت – دار العودة بيروت – حقوق الطبع محفوظة – 1973/7/1م.

-قاموس الكشاف – صالح شلهوب – دار أسامة للنشر والتوزيع – الأردن – عمان – جميع حقوق الطبع محفوظة- الطبعة الأولى 2004م – 1425هـ.
-كتاب العين – تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي 170هـ فصل رثى – تحقيق الدكتور عبدالحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 2003م 1424هـ ج2
-الكامل في اللغة والأدب – للمبرد – ج 2 – مكتبة المعارف – بيروت
-لسان العرب- ابن منظور- تحقيق عامر أحمد حيدر- دارالكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية 2009م – 1420 فصل رثى.
-محاضرات في عنصر الصدق في الأدب – محمد النويهي – معهد الدراسات العربية 1959م – القاهرة
-مختار الصحاح. للشيخ الإمام محمد أبي بكر بن عبدالقادر الرازي – تحقيق – الأستاذ يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية. صيدا – بيروت – طبعة جديدة محققة ومشكولة – 1423هـ - 2003م .
-المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام – المقبول علي بشير النعمة – بدون طبعة وبدون تاريخ.
-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – للشيخ الإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي- المؤسسة الحديثة للكتاب – طرابلس- لبنان
-المعتمد – علي أدهم – ج 2 – مكتبة مصر
-معجم الإحسان فيما ينطق به اللسان- مجمع اللغة العربية – الخرطوم شركة مطابع السودان للعملة المحدودة 2010م – الطبعة الأولى 1421 هـ 2010م - ج1
-المعجم العربي الميسر – أ. د. أحمد زكي بدوي – صديقة يوسف، راجعه أ.د. محمد السعدي فرهود وآخرون- دار الكتاب المصري – القاهرة – دار الكتاب اللبناني بيروت – الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م.

-معجم محيط المحيط . المعلم بطرس البستاني- تحقيق محمد عثمان- دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان 2009- الطبعة الأولى – ج4
-معجم مقاييس اللغة- لأبي الحسين أحمد بن أبي فارس بن زكريا- بدون طبعة وتاريخ. كتاب (الراء والثاء)
-معجم نورالدين الوسيط. دكتور عصام نورالدين. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. الطبعة الثانية 2009
-موسوعة دواوين الشعر العربي بشار بن برد
-النقد الأدبي – أحمد أمين – القاهرة 1983م – الطبعة الخامسة
-النقد الأدبي – سيد قطب – الطبعة الرابعة 1980م – بيروت
-نقد الشعر – قدامة بن جعفر – تحقيق عبدالمنعم خفاجي – مكتبة الكليات الأزهرية – الطبعة الأولى – القاهرة – 1979م
-الوساطة بين المتنبي وخصومه – الجرجاني